

# النكات

## على كتاب التوحيد

المسمى

## قرة عيون الموحدين

الحمد لله المؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} وإيمان الذين أوتوا العلم: يتمسكهم بمحكماته ورد المتشابهة إليها وعدم اشتغال القلب بغيرها.

وهذا "المنهج العلمي" الذي بينه ربنا ليس مقصورا على نصوص الوحي والنظر فيها، بل هو في التعامل مع كلام أهل العلم ومصنفاتهم كذلك لأنها فرع عن نصوص الوحي فالسبيل فيها واحد، قال الإمام الشافعي [كل ما قالته الأمة راجع إلى السنة، وكل ما في السنة راجع إلى الكتاب العزيز، وكل ما في الكتاب العزيز راجع إلى أسماء الله الحسنى]! "البرهان للزركشي".

فمصنفات العلماء في كل فن منها كتب محكمات هي أم الفن وما سواها تبع لها في فلكها يدور وعليها يبني يعضد حجتها ويتم فوائدها، فالعقل من أخذ لنفسه في كل فن أصلا محكما يمدن النظر فيه ويطيل صحبته، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل [أي العمل أحب إلى الله؟ قال (الحال المرتحل)، قيل: وما الحال المرتحل؟ قال صاحب القرآن يصرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله] (١) كلما ختمه مرة شرع في الأخرى ليزداد بذلك عمقا ورسوخا فإن إيمان النظر مورث للحكمة، قال المزمعي [قرأت كتاب "الرسالة" للشافعي خمسمئة مرة، ما من مرة إلا وإستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى] "مناقب الشافعي لابن حجر: 150"، وقال [أنا أنظر في كتاب "الرسالة" منذ خمسين سنة ما أعلم اني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن أعرفه] "طبقات الشافعية: 99/2"، وكان عبدالله بن محمد الأندلسي يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما "إنباء الرواة: 127/2"، ويقول استاذ البلاغة في عصرنا محمد أبو موسى [لا تسألني كم مرة قرأت كتاب الجرجاني -دلائل الإعجاز-، بل إسألني كم نسخة تلفت بين يدي منه]، وفي "المشوق للقراءة وطلب العلم" للشيخ علي العمران أخبار جلييلة في هذا الباب.

(1) ولذلك إستحب العلماء لقارئ القرآن إذا بلغ آخره ان لا يغلق مصحفه حتى يرجع إلى أوله فيقرأ الفاتحة وأوائل البقرة مفتتحا ختمه جديده ثم يغلق مصحفه ويدعو دعاء الختمه فإنه موطن إجابة.

ولا شك أن أجلّ كتاب صنف في (توحيد الألوهية) هو [كتاب التوحيد] للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد بالغ الشيخ رحمه الله في تحرير مسائله وضبط حدود أبوابه وضم النظائر وبيان الفروق، كل ذلك مع قرب المأخذ وحسن الإبانة عن المقصد وإيجاز اللفظ، ومن وقف مع هذا الكتاب وقوف قلب علم أنه محض كرامة إلهية ومنة ربانية إختص الله بها هذا الإمام سبق بها المتأخرين ولحق بالأئمة السالفين وجدد الله به الدين جزاء له لقيامه في الناس بالتوحيد وصبره على الأذى فيه :

أعاض إبليس تخطافا لعسكره

وخلف الشرك قد ناحت ثواكله

فذاك "عزى" طريدا بعد عزته

وذا "إساف" تنشق الجيب "نائله"

وكتاب التوحيد هو زبدة علم الشيخ وخلاصة باب توحيد الألوهية الجامع لأصول مسائله ومقاصد أبوابه! ، فحري بالعاقل الذي يقرأ الكتاب أن يوفيه حقه بإنعام النظر فيه وإطالة الفكرة في سياق نصوصه وترتيب أبوابه، خاصة وأن [كتاب التوحيد] كان للإمام محمد كتاب عمره الذي أوقف نفسه له جمعا وترتيباً وإقراءاً وتدريساً فجاء: محكما على إختصاره عميقا على سهولته منضبطا على وضوحه كأنه سبيكة ذهب قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ [وقد تتبع العلماء مصنفاته من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب] "عيون الرسائل: 149/2".

و الكتب المحكمة التي يفني الأئمة أعمارهم في تصنيفها وتحريرها وضبط أبوابها هي "أمهات الكتب" في كل فن، التي يجب على طالب العلم إن أراد الرسوخ ملازمتها وإدمان النظر فيها وإتخاذها أصولا في فنونها، فلا تعامل هذه الكتب معاملة غيرها من مصنفات أهل العلم، وإلى ذلك أشار الإمام مالك حين قال لمن قرأ عليه كتاب الموطأ في أربعين يوما [كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوم، ما أقل ما تفقهون فيه!].

هذا وليعلم الدارس لكتب الأئمة أن أعظم ما ينبغي أن يوليه عنايته هو "مرادات مصنفها" فيجعلها مقصوده الأول بالخدمة : يعضد حجتها، ويكمل نقصها، ويتمم فوائدها؛ فتكون مقاصد الإمام هي الأصل الذي يبنى عليه دراسته للكتاب وما زاد على ذلك فهو فضله إن وجدت فخير وإن فانت لم تضر، فلا يشتغل بها حتى تلهي عن المقصود بالذات، ولا يركب مقاصده هو على مؤلفات الأئمة بما يخل بها، وليستقل بالتأليف إن أراد ذلك ولا يجعل مصنفات الأئمة سلما له.

وعليه بعد طول الفكرة وتكرار النظر بدا لي أن أقسم أبواب كتاب التوحيد بما يجلي مقاصدها على النحو التالي :

## • تأصيل التوحيد :-

- ١- مقدمة في وجوب التوحيد.
- ٢- مرتبة الإحسان: أقل الكمال في التوحيد.
- ٣- مرتبة الإحسان: أعلى الكمال في التوحيد.
- ٤- مرتبة الإيمان وما يخل بها : الشرك بالله.
- ٥- مرتبة الإيمان وما يخل بها: أهل الشرك.
- ٦- مرتبة الإسلام: أصل التوحيد.

## • شرك التسبب {إياك نستعين} :-

- ١- الأسباب الباطلة (التمانم).
- ٢- الأسباب الصحيحة (التداوي).
- ٣- الأسباب المشتركة (التترك).

## • شرك النسك {إياك نعبد} :-

### أولا/ العبادات العملية :

- ١- الشرك الأكبر: الذبح لغير الله.
- ٢- الشرك الأصغر: التشبه بالمشركون في أمور دينهم.

### ثانيا/ العبادات القولية :

- ١- دعاء الشكر والتعظيم (النذر).
- ٢- دعاء دفع الضر (الإستعاذة).
- ٣- دعاء جلب النفع (الإستغاثة).

### فصل (1)/ تجريد التوحيد :

- ١- قطع التعلق بالإنس.
- ٢- قطع التعلق بغير الإنس.
- ٣- قطع التعلق بهم في أمور الآخرة (الشفاعة) .
- ٤- قطع التعلق بهم في أمور الدنيا (الهداية).

### فصل (2)/ ذرائع الشرك "الغلو" :

- 1- الغلو في الأشخاص
- 2- الغلو في الأماكن
- 3- كون الغلو أعظم أسباب للشرك
- 4- إحتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمتة في ذلك.
- 5- هلاك طوائف من هذه الأمة به.

### فصل (3)/ الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب" :

- 1- السحر الشيطاني.
- 2- العلوم الحدسية.
- 3- العلوم الحدسية الباطلة (الكهانة ونحوها).
- 4- العلوم الحدسية المحرمة (النشرة).
- 5- التعلق بالأسباب الحدسية الصحيحة أو الباطلة (الفال والتطير).
- 6- أحوال الناس مع الأسباب الحدسية (التنجيم).
- 7- شرك الأسباب الحدسية.

### ثالثا/ العبادات القلبية :-

1- الحب التعبدى.

2- الخوف التعبدى.

3- التوكل.

4- الخوف والرجاء.

5- الصبر.

6- الرياء.

7- إرادة الدنيا.

### فصل (1) / شرك التحاكم :

1- الشرك الأكبر: التحاكم الدينى لغير الله.

2- الشرك الأصغر: التحاكم الدنيوى لغير الله.

### فصل (2) / سوء الأدب مع الله :

1- من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

2- قول الله تعالى: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}.

3- قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}.

4- ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

5- قول: ما شاء الله وشئت.

6- باب: من سب الدهر فقد آذى الله.

7- باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

8- باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

9- باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

10- باب: قول الله تعالى { ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي }.

11- باب: قول الله تعالى { فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون }.

12- باب: قول الله تعالى { والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه } .

13- باب: لا يقال "السلام على الله".

14- باب: قول "اللهم اغفر لي إن شئت".

15- باب: لا يقول "عبدى وأمتى".

16- باب: لا يرد من سأل بالله.

17- باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

18- باب: ما جاء في الـ"لو".

19- باب: النهي عن سب الريح.

20- باب: قول الله تعالى {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء} .

- ٢١- باب: ما جاء في منكر القدر.
- 22- باب: ما جاء في المصورين.
- 23- باب: ما جاء في كثرة الحلف.
- 24- باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.
- 25- باب: ما جاء في الإقسام على الله.
- 26- باب: لا يستشفع بالله على خلقه.
- 27- باب: ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

### فصل (3) تعظيم الله الذي هو خلاصة التوحيد :

- 1- باب ما جاء في قوله تعالى {وما قدروا الله حق قدره}.

**فائدة:** كان من هدي الأئمة الماضين إفتتاح مصنفاتهم -الفقهية والحديثية- بأبواب في الاعتقاد ليستوفوا بذلك أركان الإسلام الخمسة فيما يكتبون، وقد كان كتاب "الموطأ" للإمام مالك رحمه الله في مصنفات المتقدمين كالعروس بين وصيقاتها، غير أن هذه العروس لم تكتمل زينتها بأبواب الاعتقاد خلا إشارات يسيرة بوب لها الإمام مالك في آخر الكتاب، حتى قيض الله للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله -الذي هو أشبه الناس عقلاً بالإمام مالك- وفتح عليه بـ"كتاب التوحيد" فكان تاج العروس، فكتاب التوحيد هو صنو موطأ مالك وقسيمه الذي به تمت زينته وإكتمل نوره وإستغنى به عما سواه خاطبه، فحري بالعاقل الناصح لنفسه أن يتخذ هاذين الكتابين عينان يبصر بهما طريق الهدى ويسلك فيه فإنهما أحكم الكتب بعد كتاب الله قال الإمام الشافعي [ما على وجه الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك].

وليس المراد بالصحة هنا مجرد صحة الأسانيد كما قد يُتوهم، بل كون هاذين الكتابين: جمعا الأصول المحكمات اتى كان عليها سلف الأمة في القرون الأولى، وكون نصوصها ظاهرة يزول معها الإشكال وتنضبط المسائل وإن كان غيرها ربما كان أصح إسناداً منها؛ فالعبرة بـ"الإحكام" لا مجرد صحة الإسناد قال تعالى {اهدنا الصراط المستقيم} (صراط الذين أنعمت عليهم) {فجمع بين "الصحة" و "الإحكام".

فالعاقل من وقف من هذه النصوص التي إنتقاها الأئمة لمصنفاتهم ليسأل سؤال الحكيم المسترشد (لماذا قدم الإمام هذا النص على غيره؟) لا سؤال المغرور المعترض (كيف قدمه وغيره أصح منه؟) فإن أئمتنا رضي الله عنهم كانوا أعلم بما في أسانيد هذه المتنون ولم يروا ذلك مؤخراً لها ومقدماً لغيرها عليها وذلك لكما عقولهم ودقة أنظارهم وعظيم فقههم -الذي يقر به المعترض عليهم!-، قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله [قف حيث وقف القوم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفعل لو كان فيها أخرى].

فالفقه كل الفقه في تدبر: إنتقاء الأئمة للنصوص، وكشفهم عن السياق الذي يوضع كل واحد منها فيه، وبيانهم للحد الذي لا ينبغي تجاوزه به، ثم سبكهم ذلك كله داخل منظومة علمية رصينة متكاملة تلم شتات المسائل وتبدي محاسن الأبواب؛ فإن هذه هي الصنعة العلمية والفقه الحقيقي.

فإن العلم ليس هو محض الجمع والتصنيف، وإلا فإن هذه النصوص مبذولة لكل أحد منثورة في كل كتاب ولكن ليس كل أحد له عقل الإمام مالك أو الإمام محمد بن عبد الوهاب ليحسن إنتقائها ونظمها وقديما قيل [إختيار الرجل قطعة من عقله].

فإختيار النص دون غيره، وإختيار موضعه الذي يساق فيه، وإختيار التبويب الذي يبوب عليه، والمسائل التي تستخرج منه بما يحكم نظام الكتاب؛ هذه هي حقيقة العلم لا مجرد معرفة معاني الألفاظ ظاهراً دون العلم بمنزلة كل واحد منها بين غيره من النصوص وحدوده التي يبدأ عندها وينتهي، ولذا قال الإمام محمد في مسائل الباب الثاني عشر متحدثاً بنعمة الله عليه [الثالثة عشرة/ معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها].

الرابعة عشرة/ وهي أعجب العجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث مع معرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم].

## [قفو الحادي]

حدا العيس حاديها فأعجل ركبها  
ولم يُبق منها غير خط على الرمل  
وقد خلفوا قلبي ييمم وجهه  
إليه يقص الأرض حاف على عجل  
فيا بُعد هاتيك الديار وأهلها  
ويا شقو عاشق بات منهم على وجُل  
خليلي إن لم تبكيا فإستبكيا  
فلا خير في سحب إذا لم تكن هُمْل  
ولا خير في عين تكفكف دمعها  
ولم يتق من سيلها صارخ النمل  
سأبكيهم حتى أجفف ضرعها  
ويُلقي قميص العلم عن أبيض المُقل  
وأقفو هداهم لعمر أبيك إنه الهدى  
وأجني كتبها راجع العقل  
قراطيس يغني ما حوته من الهدى  
عن الشمس والنجم اليماني ذا السهل  
كأنها قطعة من جنة نزلت  
أقامها الله أي الحق للمقل  
فليت شعري أجن الناس أم عميت  
منهم قلوب فهم عن فضلها غُفل  
فذا موطأ مالك قد حوى دررا  
لما عليه هدى الأصحاب والعمل  
وذا لملة إبراهيم قد علموا  
أن الإله لأجلها أوجد الثقل  
فكيف ساوى ذوي الأنظار بينهما  
وبين كتب على الأخطاء لم تزل  
فإشدد يديك عليها إنها سبب  
بيد الخلائق تعصمهم من الزلل  
وإجار إلى الله يوم الحشر يجمعنا

## القسم الأول

### أبواب تأصيل التوحيد

- 1- مقدمة في وجوب التوحيد.
- 2- [باب/ فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب].
- 3- [باب/ من حقق التوحيد دخل الحنة بغير حساب].
- 4- [باب/ الخوف من الشرك].
- 5- [باب/ الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله].
- 6- [باب/ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله].

**قاعدة:** قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رساله "ثلاثة الاصول" [الأصل الثاني/ معرفة دين الإسلام بالادلة: وهو الإستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: (الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان) وكل مرتبة لها أركانها] فكل باب من أبواب الدين للناس فيه مراتب ثلاثة ومن ذلك "التوحيد" فإنه منه ما هو: اصل الدين (الإسلام)، ومنه ما هو فوق ذلك (الإيمان)، ومنه درجة الكمال (الإحسان).

وقد عقد الإمام محمد في هذا القسم من كتابه لكل مرتبة من هذه المراتب أبوابا تكشف عن حدودها وتبين أركانها على النحو التالي :

- مقدمة في وجوب التوحيد.
  - ثم بابان في مرتبة (الإحسان) : أقل الكمال فيه، وأعلى الكمال؛ لقوله عليه الصلاة والسلام [إن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك] فجعل الإحسان مرتبتين.
  - ثم بابان في مرتبة (الإيمان) : وما يخل بأصلها وكمالها.
  - ثم الباب الأخير في مرتبة (الإسلام) : التي هي أقل الواجب الذي به ينجو العبد عند ربه.
- فمن ضبط مراتب التوحيد الثلاثة إنضبطت له مسائل هذا العلم كله وإستبان له مرتبة كل واحدة منها.

## [مقدمة في وجوب التوحيد]

### بنية الباب:

ذكر المصنف في هذه المقدمة أربعة أوجه تدل على وجوب التوحيد :-

- الوجه الأول/ أن التوحيد هو المقصود من الخلق.
- الوجه الثاني/ أن التوحيد هو الحكمة من إرسال الرسل.
- الوجه الثالث/ أن التوحيد هو: أول الأوامر، وأعظم الواجبات، وأهم الوصايا؛ ولذلك قدم ربنا عز وجل ذكره في كل من : سورة "الإسراء" المشتملة على عشرة أوامر، و "النساء" المشتملة على عشرة حقوق، و "الأنعام" المشتملة على عشرة وصايا.
- الوجه الرابع/ أنه حق الله على العباد.

### نكتة/ [لا إله إلا الله] :-

إعلم رحمك الله أن لفظة (إله) تدور في لسان العرب على معاني سبعة :

- 1- المعبود: وهو أظهر معانيها، فالتأله بمعنى التعبد ومنه قراءة ابن عباس {ويذكرك وإلهتك}.
- 2- التأله بمعنى التحير: فـ"الإله" هو الذي تتحير القلوب والعقول في عظمتة قال تعالى {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.
- 3- اللجوء: فيقال إله إلى كذا إذا لجأ إليه، فالإله من تلجأ إليه كل الخلائق وهو الغني الحميد قال تعالى {الله الصمد}.
- 4- الإحتجاب: من لاه يلوه إذا إحتجب، والإله هو المحتجب عن خلقه قال تعالى {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}.
- 5- السكون: فيقال إله إلى فلان إذا سكن إليه، قال تعالى {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}.
- 6- الإرتفاع: فيقال إله إذا علا و إرتفع قال تعالى {الرحمن على العرش إستوى} أي علا فوقه وجلس كما يليق بجلاله.
- 7- المحبة: من الوله وهو شدة الحب والشوق وإتجاه القلب، والإله هو المحبوب لذاته قال تعالى {والذين آمنوا أشد حبا لله}.

وسائر المعاني الأخرى تدور على هذه السبعة، فتوحيد الله تعالى يكون بإفراده بما تضمنته هذه الكلمة من معاني (لا إله إلا الله) ، وبذلك تعلم كيف كان الرجل من الأعراب يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيلقنه الشهادة فيخرج الأعرابي من عنده داعياً إلى قومة معلماً لهم! لانه بسليقته العربية يفهم معنى هذه الكلمة وما تضمنته من وجوب أفراد الله تعالى بكل قول أو عمل فيه نوع تأله، قال الإمام محمد في كتابه الجليل "كشف الشبهات" [والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم هو أفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبدون من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم (قولوا: لا إله إلا الله) قالوا {أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب}، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جمها الكفار بل يظن أن ذلك هو التلطف بحروفها من غير إعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذاق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله؛ فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بلا إله إلا الله].



(الإحسان "1" : أقل الكمال في التوحيد)

## 1- [باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب]

### بنية الباب :

بين المصنف في هذا الباب أن كمال ثواب التوحيد إنما يناله من أتى بالتوحيد على جهة الكمال، فمن نقص عن رتبة الكمال نقص له من الثواب بقدر إخلاله، ثم بين رحمه الله صفة أقل الكمال في التوحيد على النحو التالي :

- 1- الآية: وهي القاعدة العامة في كون كمال ثواب التوحيد خص به أناس لهم إيمان مخصوص بينت صفته النصوص :-
- 2- الحديث الأول: مغارقة أهل الباطل وإعتزال مناهجهم [وأن عيسى عبدالله ورسوله].
- 3- الحديث الثاني: التزام التوحيد بالقلب [يبتغي بذلك وجه الله].
- 4- الحديث الثالث: التزام التوحيد بالقول [أذكرك وأدعوك به].
- 5- الحديث الرابع: التزام التوحيد بالعمل [لا تشرك بي شيئا].

### نكتة (1) // [أقل الكمال في التوحيد: تحقيق الشهادتين] :-

إعلم رحمك الله أن أقل الإحسان في التوحيد (تحقيق معنى الشهادتين) وذلك بلزوم الأصليين :-

- 1- البراءة من الشرك وأهله، وهو مقتضى (لا إله إلا الله).
- 2- البراءة من البدع وأهلها، وهو مقتضى (محمد رسول الله).

فمن جاء بهاذين الأصليين فقد حقق من التوحيد أقل الكمال وبلغ أولى درجات [الولاية] ودخل في كل فضل جاءت به النصوص في أهلها، قال ابن القيم [فهذا ميزان عادل توزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته: فإذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى -الشرك والبدعة- ويكره ما يحبه -التوحيد والسنة- علمنا أن فيه من معاداته بحسب ذلك ، وإذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه ، وكلما كان الشيء أحب إلى الرب كان أحب إليه وأثره عنده ، وكلما كان أبغض إليه كان أبغض إليه وأبعد منه ، علمنا أن فيه من موالاته الرب بحسب ذلك، فتمسك بهذا الأصل في نفسك وفي غيرك ، فالولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة [الجواب الكافي]، قال الإمام مالك [لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن (لا يشرك بالله شيئا) ثم نجا من هذه (الأهواء) : لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس!؛ لأن كل كبيرة بين العبر وربّه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم]" ذم الكلام وأهله" للهيروني و "الجامع في عقائد أهل السنة"

لعادل آل حمدان، قال ابن بطة [إجتاز بعض المحبين للبهيهاري ممن يحضر مجلسه من العوام وهو سكران على بدعي، فقال البدعي: "هؤلاء الحنبلية!"، فرجع إليه وقال: الحنبلية على ثلاثة أصناف:-

- صنف زهاد يصومون ويصلون.
- وصنف يكتبون ويتفقهون.
- وصنف يصفعون كل مخالف مثلك.

وصفحه وأوجعه] "طبقات الحنابلة : 43/2" فهذا هو أقل الكمال في التوحيد وهي أولى درجات الولاية!.

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}: ف(إياك نعبد) فيها البراءة من الشرك وأهله وموالاته التوحيد وأهله لقوله "نعبد" بصيغة الجمع، و(إياك نستعين) فيه البراءة من البدع وأهلها وموالاته السنة وأهلها لأنه أخبر أنهم في عبادتهم له لم يحدثوا شيئا من عند أنفسهم بل هم مستعينون في ذلك بوحيه -الكتاب والسنة-؛ قال ابن تيمية [جماع الدين أصلان:-

1 - أن لا نعبد إلا الله.

2 - ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبد به بالبدع] "العبودية".

ولذلك قال رحمه الله [تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة {إياك نعبد وإياك نستعين}] "مدارج السالكين : 79/1" لأنه سؤال لكمال التوحيد وبلوغ درجة الإحسان فيه.

ومن هنا أيضا كانت هذه الآية العظيمة شعار من سبقنا من أهل التوحيد (إخوان من طاع الله) رحمهم الله فقد كانوا يحدثون بها قوافلهم في الغزو والسفر كما ذكر ذلك عنهم الدميحي في كتابه [صفحات مطوية من تاريخ الجزيرة العربية] (2).

(2) ولهم تسجيل منشور على يوتيوب فيه طريقة حدائهم بها!

## نكتة (2) // [صفة ذكر أهل التوحيد (أذكرك وأدعوك به)] :-

إعلم رحمك الله أن حقيقة "الذكر" هي التذكر والتفكير: تذكر أسماء الله وصفاته، والتفكير في آثارها في الوجود -الشرع والقدر-.

قال ابن القيم [الطمأنينة إلى أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته نوعان: طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها، وطمأنينة إلى ما توجبه من آثار؛ وهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم، وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها] "الروح".

والذكر له صفة كمال من جاء بها حصل له ثواب الذكر -الديني والأخروي- على جهة الكمال، ومن أخل بها نقص له من الفضل بقدر إخلاله، وهذه الصفة بينها ربنا جل وعلا في قوله {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} وفيه :

- حقيقة الذكر : وأنه تذكر أسماء الله وصفاته من خلال ربطها بالواقع -الشرع والقدر- وتنزيلها عليه.
- مما يثمر الترقى في مراتب العلم {ربنا ما خلقت هذا باطلا}.
- والتلقي في مراتب العمل: ومثل له بالدعاء الذي هو مخ العبادة {فققنا عذاب النار}.

وقد جمع ذلك كله قول موسى عليه السلام مبينا صفة ذكر الأنبياء [أذكرك وأدعوك به]!.

فذكر أهل السنة: قول وعلم -إعتقاد- وعمل، لا محض التلفظ باللسان كما هو إيمان المرجئة دون إعتقاد ولا عمل، وذلك يفتح لك نافذة لفهم كلام السلف في (غربة السنة) وقلة أهلها العاملين بها في زمانهم، وأن ذلك ليس من المبالغات كما قد

يتوهم البعض، وأن "السنة" ليست مجرد معارف ذهنية و قواعد نظرية وإنما هي منهج عملي يدخل في كل صغير وكبير من أمور العبد الدينية والدنيوية.

فالذكر الشرعي هو : قول وعمل وحكمة، لا مجرد طلاس تنطق باللسان فتؤتي ثمارها الدنيوية والأخروية بلا علم يستفاد منها ولا عمل بما فيها، وقد روى البيهقي عن بشر بن الحارث قال [لما رفع إبراهيم عليه السلام ليلقى في النار، عرض له جبريل فقال: يا إبراهيم هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا حاجتي إلى الله ربي] وفي البخاري عن ابن عباس [كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار (حسبنا الله ونعم الوكيل)] فلما استوفاهما عليه السلام قولاً وعملًا وحكمة حصلت له ثمرتها على جهة الكمال {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا غَابِدِينَ}.

**فائدة جلية:** أعظم الذكر (لا إله إلا الله) فإن هذه الكلمة هي "أم الذكر" كما أن الفاتحة هي أم القرآن الجامعة لمعانيه، وذلك أن لا إله إلا الله تجمع معاني الأذكار كلها فما من ذكر إلا وعنها يصدر وإليها يرجع، وإليك بيان شيء من ذلك:-

قال عليه الصلاة والسلام [إن الله إصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر] الهيثمي.

- 1- ف "التسبيح" : هو تنزيه الله تعالى عن كل نقص؛ وأعظم التسبيح تنزيه الله عن الشريك [سبحانه وتعالى عما يشركون] .
  - 2- و "التحميد" : هو إثبات كل كمال له جل في علاه؛ وأعظم الحمد إثبات تفرد بالالوهية {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} الله خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ .
  - 3- و "التكبير" : هو نفي المكافئ والشبيه له في ذلك كله -إثبات الكمال ونفي النقص-؛ فأعظم التكبير الشهادة له بالتوحيد {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا}.
- ومن هنا جاء في الحديث [مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، قُتِلَ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمَنَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ] رواه مسلم، فجعل (لا إله إلا الله) خاتمة الذكر التي تجمع معانيه.

- 4- أما "الإستغفار" : فإن التوحيد أعظم ما يكفر الذنوب قال الإمام محمد [باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب]، ومن هنا كان إستغفار الأنبياء {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} وفي الحديث [سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أُوْبُؤُكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأُوبُؤُكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. إِذَا قَالَ جِبْنَ يُمَسِّي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ جِبْنَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلُهُ] البخاري.

هذا ولتعلم أن الذكر للتوحيد كالوقود للنار به يتعاطم في النفس ويشتد وبدونه يخبو ويضعف قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} وفي الحديث [إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقَ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ] وقال عليه الصلاة والسلام [مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت] رواه البخاري، وقد أثنى الله به على أوليائه فقال {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وقال عن إبراهيم عليه السلام {وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون} أي "لا إله إلا الله"، وقال {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا} يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ {وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ} مسلم، وقال {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، وفي ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب [كان رحمه الله كثير الذكر لله فلما يفتقر لسانه من قول : سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وكان إذا جلس الناس ينتظرونه يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتلهيل والتكبير] "عنوان المجد لابن بشر : 180/1".

(الإحسان "2" : أعلى الكمال في للتوحيد)

## 2- [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب]

## بنية الباب :

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة نصوص تبين معنى (تحقيق التوحيد) الذي هو أعلى درجات الكمال فيه :-

- 1- الآية الأولى: وهي الأصل العام في إثبات تفاضل درجات الناس في تحقيق التوحيد.
- 2- الآية الثانية: في الركن الأول لتحقيق التوحيد (التخلية: التجرد من الشرك كله) وهو شق كلمة التوحيد الأول "لا إله".
- 3- الحديث: في الركن الثاني (التحلية: كمال العلم بالله) وهو شق كلمة التوحيد الثاني "إلا الله".

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب [من محمد بن عبد الوهاب، إلى ثنيان بن سعود، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، سألتكم عن معنى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وكونها نزلت بعد الهجرة، فهذا مصداق كلامي لكم مراراً عديدة أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان. وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكراراً عليكم، وهي التي بوب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد. وذلك أن العلم لا يسمى علماً إلا إذا أثمر، وإن لم يثمر فهو جهل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وكما قال عن يعقوب: ﴿وَأِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمَانَهُ﴾ والكلام في تقرير هذا ظاهر.

والعلم هو الذي يستلزم العمل، ومعلوم تفاضل الناس في الأعمال تفاضلاً لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم؛ فيكفيك في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكال المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمداً رسول الله. وسر المسألة: العلم بلا إله إلا الله، ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلاً عن غيرهم، ولما نهى نوح بنبيه عن الشرك أمرهم بلا إله إلا الله؛ فليس هذا تكراراً، بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمين] "الرسائل الشخصية".

## نكتة (1) / [تجريد التوحيد (لا إله)]: -

إعلم عصمك الله أن مراتب الشرك ثلاثة كل منها ينقض مرتبة من مراتب التوحيد -الإسلام والإيمان والإحسان- أو يخل بكمالها، قال الشيخ عبدالله القرعاوي رحمه الله [ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي :-

- 1- النوع الأول من أنواع الشرك/ الشرك الأكبر: لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الواجبات المحتمات]؛ وهو الذي ينقض (مرتبة الإسلام) ويخرج صاحبه من الملة.
- 2- [النوع الثاني من أنواع الشرك/ الشرك الأصغر: وهو الرياء] "الواجبات المحتمات"، وهو كل قول أو عمل يخل بالشهادتين ولا يصل بصاحبه إلى الكفر وهو الذي ينقض (مرتبة الإيمان) أو يخل بكمالها، وهو نوعان: ما يخل بـ"لا إله إلا الله" كالرياء ونحوه، وما يخل بـ"محمد رسول الله" وهي الأهواء البدع.
- 3- [النوع الثالث من أنواع الشرك/ شرك خفي: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل) وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم)] "الواجبات المحتمات"، وهو كل ما لم يكن شركاً صريحاً ولكنه يفضي إليه أو فيه نقص أدب مع الله، وهذا النوع من الشرك هو الذي يخل بـ(مرتبة الإحسان). ومنه "الإسترقاء" الذي هو طلب الرقية من الغير لأنه يفضي إلى تعلق القلب بالراقي، ومنه "الإكتواء" لأن فيه نقص أدب مع الله وفي الحديث [لا يحرق بالنار إلا رب النار]، فهذه الأفعال وإن لم تكن محرمة ولا يأت صاحبها إلا أنها تنزل به عن أعلى درجات الكمال (الإحسان)، فتسميتها "شركاً خفياً" من باب إنقاصها لكمال التوحيد فشابهت الشرك بذلك فأعطيت اسمه لا أنها في نفسها إثم ومعصية.

**تنبيه:** يطلق لفظ [الشرك الخفي] أحيانا ويراد به "الرياء" لكونه عملا باطنا لا يطلع عليه، وذلك جريا على قاعدة كثير من الألفاظ الشرعية (إذا انفردت عمت وإذا اجتمعت خصت)، فلا تعارض بين الإستعماليين .

## نكتة (2) / [أن تعبد الله كأنك تراه (إلا الله)] :-

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب [اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربعة مسائل: الأولى/ العلم : وهو معرفة الله] "ثلاثة الأصول"، قال الإمام أحمد [ما اتخذ الله وليا جاهلا، لو إتخذ له لعلمه]!.

والعلم بالتوحيد ثلاثة مراتب بينها ربنا جل وعلا في قوله {ما كان لبشر أن يؤتيه الله "الكتاب" و "الحكم" و "النبوة" ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله} :-

1- المرتبة الأولى/ علم النص: وهو معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها بإثباتها لفظا ومعنى؛ وهي مرتبة الإسلام.

2- المرتبة الثانية/ علم الفكرة: وهو تنزيل هذه الأسماء والصفات على الواقع -الشرع والقدر- والتبصر بآثارها والفقه في أحكامها قال تعالى {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين} قال ابن القيم [وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمأنينة ويصير المعلوم غيبا شهادة، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليس المخبر كالمعاين)] "الداء والدواء: 51"؛ وهذه هي مرتبة الإيمان.

3- المرتبة الثالثة/ علم النفس: وهو ثمرة إستقرار علم "النص" و "الفكرة" في قلب العبد حتى تنصبغ به نفسه قال تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا إن الله لمع المحسنين}، وأهل هذه المرتبة صفات الله حاضرة في قلوبهم ماثلة بين أعينهم يتقلبون في نعيمها يعبدونه كأنهم يرونه جل جلاله؛ وهذه هي مرتبة الإحسان التي يكون القلب فيها كامل الحياة بإستشعاره حضور ربه على كل حال كما جاء في وصف نبيينا عليه الصلاة والسلام [إن العين نائمة ولكن القلب يقظان] البخاري، وأهل الكتاب يجدون في كتابهم دعاء عيسى بن مريم للحواريين [اللهم أعطهم الحياة الأبدية: وهي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك] "يوحنا: 17".

**فائدة:** أشرف العلم (العلم بالله) وهو داخل في العلوم كلها، ومن هنا لم يكن عند التحقيق تفاضل بين العلوم، بل كل ما عرف العبد بربه في كل علم فهو أشرفه، والناس يختلف إنتفاعهم بالعلوم بحسب ميل نفوسهم وإختلاف أطباعهم، وقد وزع الله حججه على العلوم كلها ليعم النفع جميع بني آدم قال تعالى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}، فكل علم أورث صاحبه زيادة معرفة بالله ومحبه له وتعظيما فهو أشرف العلوم في حقه، فإن الله ضبط لنا العلم النافع فقال {إنما يخشى الله من عباده العلماء} فما كان من العلوم هذا أثره في نفس صاحبه فهو العلم النافع له، ومن فقه الإمام مالك في ذلك رسالته لعبد الله العمري العابد حين دعاه إلى إعتزال الناس والإشتغال بالعبادة فأجابته [إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد؛ فنشر العلم من أعظم أعمال البر وقد رضى بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر] "سير أعلام النبلاء : 114/8".

## نكتة (3) / [مراتب المحسنين] :-

إعلم رحمك الله أن أعلى الإحسان [أن تعبد الله كأنك تراه] البخاري، ولأهلها درجات أربعة "الصالح" و "الصادق" و "الشهيد" و "النبي"، وصفه أصحاب هذه المراتب الأربعة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله [(الدين النصيحة) قالوا: لمن؟ قال (الله، وكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)] مسلم :-

**1- النصيحة لله:** بإسلام الخلق والتدبير والعبادة له وحده، وأن لا يغفل القلب على شيء من ذلك، فإن من الناس من يغفل قلبه على ربه في خلقه وتدبيره وهدايته لمن شاء وإضلاله كما يفعل المرجنة والخوارج، ومنهم من يغفل قلبه على ربه في شرعه وأمره ونهيه كما هو حال الزنادقة والمنافقين، ومنهم من يغفل قلبه على ربه في أقداره كما هو حال ضعاف الإيمان، ومنهم من يغفل قلبه على ربه في توحيد الله كما هو حال المشركين بمراتبهم الثلاثة - الأكبر والأصغر والخفي - .

فالنصح لله هو كمال توحيد في ألوهيته وربوبيته وأسماء وصفاته، قيل لعيسى بن مريم عليه السلام [من الناصح لله؟ قال (الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس)] "الإخلاص لإبن أبي الدنيا"، وكان إخوان من طاع الله رحمهم الله إذا أرادوا تعظيم رجل أو مدحه قدموا بين يدي ذلك بالثناء على الله وتعظيمه أدبا معه جل في علاه فيقولون (الله ربنا وأنت أميرنا)!

**2- النصيحة لكتابه:** بتعظيمه والإحتكام إليه ورفعته على ما سواه والإقبال عليه تدبرا وعملا حتى يكون هو مرجع العلوم والأعمال كلها، وقد جاء في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم [كان خلقه القرآن] بل قالت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها [كأن وجهه ورقة مصحف]!، وكان السلف رضوان الله عليهم يتنافسون في إرجاع علومهم كلها إلى القرآن قال سفيان بن عيينة [لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتمكم به من القرآن، فقال قائل: فأين في القرآن (أعط أخاك ثمرة فإن أبي فجمرة)؟ فقال في قوله {فمن عش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا}] "الفوائد لإبن القيم: 84".

**3- النصيحة لرسوله:** بإتباع سنته وإسلام القياد له محبة وتعظيما، وأن لا يغفل القلب على شيء منها، ولذلك كان أهل البدع جميعا خارجون عن مرتبة الإحسان لأن قلوبهم قد ملئت غلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقوا سنته وأبغضوا الله جل وعلا يقول [إن شأنك هو الأبتى].

وأصحاب مرتبة الإحسان يتفاوتون في درجات كمال تحقيق الشهادة للرسول عليه الصلاة والسلام، فأجلهم تحقيقا لها -بعد النبي!- أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب [ومعلوم تفاضل الناس في الأعمال تفاضلا لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم؛ فيكفيك في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكال المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمداً رسول الله] "الرسائل الشخصية".

**4- النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم:** والأئمة هم "العلماء" و "الأمرأء" الذين بهم يحفظ الإسلام وأهله، والنصح لهم بحفظ جنابهم وبيان فضلهم والإقبال عليهم، وتبكيك الطاعنين في الإسلام وأهله المفارقين لهم في دينهم وثقافتهم وعلومهم، قيل لسعيد بن المسيب [هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر؟ فقال (نسكوا نسكا أعجميا)]، وقال ميمون إبن مهران في صفة أهل الإحسان [إعلم أنه لا يكون منهم : متماوتا، ولا مبتدعا، ولا طعانا على الأئمة]، ولما رمى رجل بكتاب عند الإمام أحمد غضب وقال [هكذا يفعل بكلام الأبرار؟!] "كشاف القناع".

فبحسب كمال تحقيق العبد لهذه الخصال الأربعة على جهة التفصيل علما وعملا تكون درجته في كمال "الإحسان" : ففي (النصح لله) يرى حكمة الله وعدله ورحمته وسائر أسمائه وصفاته في كل من شرعه وقدره، وفي (النصح لكتابه) يرى فضله وعلمه وكونه حبل الله الممدود بينه وبين خلقه، وفي (النصح لرسوله) يرى عظم المرسل له المصطفية على الخلق الرافع لذكره المعلي لشأنه المكمل خلقه وخلق، وفي (النصح للأئمة) يرى تفضيل الله لها وإصطفاء إياها وتخييرها على سائر الأمم؛ فهو في ذلك كله ينظر متعبدا لله مستعينا به متعرفا عليه قال النهجوري في وصف إبراهيم عليه السلام [كان ذهابه من الله وبالله وإلى الله، وذلك علامة التوحيد].

فائدة: للإمام الشافعي رحمه الله كلمة كاشفة عن كمال تويده وتحقيقه لخصال الإحسان الأربعة وهي قوله [كل ما قالته الأمة -النصح للأئمة- راجع إلى السنة -النصح للرسول-، وكل ما في السنة راجع إلى الكتاب العزيز -النصح للكتاب-، وكل ما في الكتاب العزيز راجع إلى أسماء الله الحسنى -النصح لله-] "البرهان للزركشي" .. وهذا هو معنى (أن تعبد الله كأنك تراه)!

(مرتبة الإيمان "1" : ما يخل بها -الشرك-)

### 3- [باب الخوف من الشرك]

#### بنية الباب :

ذكر المصنف في هذا الباب خمسة نصوص في بيان مراتب الشرك :-

- 1- الآية الأولى : وهي القاعدة العامة وهي أن الله لا يغفر الشرك إلا بالتوبة ويغفر ما دونه.
- 2- الآية الثانية : أن هذا الشرك منه ما هو أكبر ينقض التوحيد كله ويخرج صاحبه من الملة.
- 3- الحديث الأول : ومنه ما هو أصغر ينقص التوحيد ولا ينقضه.
- 4- الحديث الثاني : في مصير أهل الشرك الأكبر لقوله "ندا" .
- 5- الحديث الثالث : في مصير أهل الشرك الأصغر لقوله "شيئاً" .

قال ابن القيم [القصد من الخلق والأمر: أن يعرف الله بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له؛ فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له] "الداء والدواء: 158".

#### نكتة (1) / [مراتب الشرك] :-

إذا علمت أن التوحيد "أصل" و "كمال"، فاعلم أن للشرك معه أربعة أحوال :-

- الأول/ ما ينقص "كمال" التوحيد: وهو (الشرك الخفي)، وإخلاله بالتوحيد من باب نقص الأدب.
- الثاني/ ما ينقض "كمال" التوحيد: وهي (البدع)، وهي من الشرك: لإخلالها بكمال التحاكم -مقتضى لا إله إلا الله-، وكمال المتابعة -محمد رسول الله-، ولأنها ذريعة للشرك.
- ومن هنا فإنها لا تغفر إلا بتوبة كما جاء في الحديث [إن الله إحتجر التوبة على صاحب البدعة حتى يرجع عنها]، وفي "فضائل رمضان" لأبي عبيد [يغفر الله في ليلة النصف من شعبان لكل عبد إلا مشرك أو مشاحن]
- قال الأوزاعي [المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها أمته] قال تعالى {إن شأنك هو الأبتى} (٣).
- الثالث/ ما ينقص "أصل" التوحيد: وهو (الشرك الأصغر)، وهو الذي يخل بمرتبة الإيمان.
- الرابع/ ما ينقض "أصل" التوحيد: وهو (الشرك الأكبر) الذي يخرج صاحبه من الملة.

ومن ضبط هذه المراتب الأربعة للشرك إنضبطت له مسائل كتاب التوحيد كلها!.

(٣) إعلم أن [السنة] كالتوحيد "أصل" و"كمال"، ومراتب البدع معها أربعة:-

- 1- ما ينقص الكمال: وهو نقص الأدب كالبطنة ونحوها قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [أول بدعة حدثت بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الشيع] "الجوع لابن أبي الدنيا".
- 2- ما ينقص الكمال: كالنسك الأعجمي، وهجر النوافل.
- 3- ما ينقص الأصل: وهو موافقة أهل البدع في بعض المسائل الجزئية.
- 4- ما ينقص الأصل: وهو موافقة أهل البدع في أصول مذاهبيهم، وصاحبه هو "المبتدع" الذي خرج عن دائرة أهل السنة والجماعة.

**فائدة:** يجد أهل الكتاب في كتابهم [أخذ إنا هارون عليه السلام "ناب" و "بيهو" كل منهما جمرته وجعلها فيها نارا ووضعها عليها بخورا وقرباها أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما الله بها، فخرجت نارا من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب!] "سفر اللاويين" فهذان إنا نبي أهلكتهما (البدعة) كما أهلك (الشرك) امرأة نوح وامرأة لوط.

## نكتة (2) / [التوبة من الشرك] :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يا أبا بكر ، لَلشِّرْكُ فيكم أخفى من ديبب النَّمْلِ والذي نفسي بيده ، لَلشِّرْكُ أخفى من ديبب النَّمْلِ ، ألا أدلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليلة وكثيره ؟ قل : (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك و أنا أعلم ، و أستغفرُك لما لا أعلم)] أحمد والبخاري في الأدب المفرد، ومعلوم أن للتوبة شروط ثلاثة :-

- 1- الإقلاع عن الذنب.
- 2- الندم على ما فات.
- 3- العزم على عدم العودة إليه.

فمن داوم على هذا الذكر بشروطه فقد برئ من الشرك كما أخبر الصادق المصدوق وحقق بذلك (مرتبة الإيمان) ففي الحديث [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: -وذكر منها- وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف في النار] متفق عليه، أما مجرد النطق بالكلمات دون الإتيان بشروطها فإنه يذهب بثوابها أو ينقصه بحسب إخلال صاحبه.

والقصد أن هذا الذكر العظيم يذهب بقليل الشرك وكثيره عند من يقوله على جهة التوبة وتجديد التوحيد قال تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه} قال وهب ابن منبه [مكث آدم منكفئا رأسه بعدما هبط من الجنة مئة عام لا يرقأ له دمع ينادي: إلهي غرتني حواء وإستزلني إبليس وإستحوذ علي البلاء {وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}، فنودي : يا آدم قد غفر لك!، فبكا بعد ذلك مئة عام إستحياءا من ربه] "الرقعة والبكاء لابن أبي الدنيا"، فالناس تتفاوت درجاتهم مع هذا الذكر وتطهيره لهم من قليل الشرك وكثيره بحسب صدق قلوبهم ومواطنتها ألستهم عليه وعملهم بما تضمنه من توبة.

ومن تأمل أذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وجدها تدور على تجديد التوحيد والبراءة من الشرك -بمراتبه الأربعة- حتى اذا داوم العبد عليها وقبض بين ذلك قبض على التوحيد الخالص، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة وفضله عليها.



(مرتبة الإيمان "2" : ما يخل بها - أهل الشرك-)

#### 4- [باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله]

##### بنية الباب :

ذكر الإمام في هذا الباب آية وحديثين :-

- 1- الآية: وهي الأصل العام والمنهج القويم في الدعوة إلى الله والتعامل مع المخالفين.
- 2- الحديث الأول: في الدعوة باللسان.
- 3- الحديث الثاني: في الدعوة باللسان.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [وأعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالنَّبَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقابل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (١٦) ثُمَّ لَا تَبْيَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبياناته، فلا تخف ولا تحزن {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}، والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، فجدد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح [كشف الشبهات].

##### نكتة (1) / [الحكمة] :-

إعلم أرشدك الله أن المرء لا يكون على الجادة حتى :-

- 1- يعرف الحق -التوحيد والسنة- في نفسه أولاً، فينظر في أصحابه فيواليهم في الدين.
- 2- يعرف الباطل -الشرك والبدعة- في نفسه أولاً، ثم ينظر في أصحابه فيفارقهم في الدين.
- 3- ثم يعرف مراتب أهل الباطل فيعامل كل مرتبة بما هي أهله، وبما يليق بحاله هو (وسورة التوبة اصل في هذا الباب) .

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، قال ابن القيم [إن الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه.

وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله بهما سبحانه على أنبيائه بهما في قوله تعالى {واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار} فالأيدي : القوة في تنفيذ الحق ، والأبصار : البصائر في الدين فوصفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه ، وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام :

- القسم الأول/- أولي الأيدي والأبصار - : فهؤلاء أشرف الأقسام من الخلق وأكرمهم على الله تعالى .

- القسم الثاني : عكس هؤلاء ، من لا بصيرة له في الدين ، ولا قوة على تنفيذ الحق ، وهم أكثر هذا الخلق ، وهم الذين رؤيتهم قذى العيون وحمى الأرواح وسقم القلوب ، يضيقون الديار ويغلون الأسعار ، ولا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار .
  - القسم الثالث : من له بصيرة بالحق ومعرفة به ، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه ، وهذا حال المؤمن الضعيف ، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه.
  - القسم الرابع : من له قوة وهمة وعزيمة ، لكنه ضعيف البصيرة في الدين ، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كل سوداء ثمرة وكل بيضاء شحمة ، يحسب الورم شحما والدواء النافع سما .
- وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين ، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول ، قال الله تعالى : {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} [الداء والدواء : 93].

## نكتة (2) / [القوة] :-

إعلم أتم الله عليك نعمته أن "القوة" هي موافقة الشرع والقدر!، فكما كان العبد أشد موافقة لهما في المنشط والمكره والعزيمة والرخصة كان أكمل توحيدا وفي الحديث [إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه] وقال عليه الصلاة والسلام [إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه]؛ فيكمال موافقة الشرع والقدر تكون منزلة العبد في قوة التوحيد قال أبو حفص الحداد [من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال] "الإعتصام للشاطبي".

وقد فرق الشرع في أحكامه بين حال القوة والضعف فوضع لكل حال منهما ما يليق به حكمة من الله بالغة ورحمة سابعة ، وفي الخلط بين أحكام الحاليين إبطال لهذه الحكمة ورد لهذه الرحمة، قال الشاطبي [إن الله وضع الشريعة على أن تكون أهواء النفوس تابعة لمقصود الشرع] فالعبودية إنما تتحقق من العبد بتقديم مراد ربه على مراد نفسه، وذلك بأن يعرف: ما أمره الله به، في وقته، بحسب حاله؛ فلا ينقص منه ولا يزيده عليه ولا يتخذ إليه هواه فإنه متى فعل وكل إلى نفسه ولم يؤول أمره إلى خير قال تعالى {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فما رعوها حق رعيتها}.

فإذا فهمت ذلك تبين لك أن صورة (تحقيق التوحيد) تختلف باختلاف أحوال العبد، وذلك بأن يلتزم بمراد الله منه -الشرعي والقدري- في كل حال من أحواله، ومن هنا كانت أولى خطوات العبد في طريق تحقيقه التوحيد أن يعرف منزلته في العلم والإيمان والقدرة و يعمل بأمر الله فيها، ثم يسعى بعد ذلك لما فوقها من الدرجات بتحصيل الأسباب الإيمانية والقدرة وعلى هذا المعنى يحمل قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام {أولم تؤمن قال بلى} أراد أن يبصره منزلته في التوحيد ليطلب بعدها ما هو أعلى منها.

فائدة: أشار الإمام محمد في "ثلاثة الأصول" إلى أن الفرق بين الرسول والنبي أن "النبي" هو الذي أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ و "الرسول" هو الذي أوحى إليه وأمر بالتبليغ ، ومعلوم أن كلا من الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أكمل الخلق توحيدا وتحقيقا لتام العبودية بموافقتهم مراد الله في حالهم، ومن فقه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه كان في مبتدأ دعوته إذا سمع الناس يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه من دون الله قال [الله خير من زيد!] "مجموعة التوحيد: 339" تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام مراعيًا حاله وحالهم وذلك من كمال توحيده رحمه الله، وقد روى مسلم في صحيحه جواب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين في تلبيتهم بقوله [قَدِ قَدِ] قال القرطبي [أي حسبكم التوحيد، بنهاهم عن الشرك] "المفهم".

قال الحسن البصري [لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله] "العقل وفضله" فلا يُفِرط إفراط السفه ولا يفرط تفريط اللعاب بدينه.

والخلاصة أن "القوة" هي:

- 1- أن يملك المرء هواه فيجعله تبعًا للشرع.
- 2- ويحصل من الأسباب الإيمانية والقدرة ما يحقق به مراد الله منه بحسب حاله قال عليه الصلاة والسلام [كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ رَوْحِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ] البخاري.

فكل باب من أبواب الحياة يحقق فيه العبد القوة الشرعية والقدرية فإن ذلك من كمال توحيده.

(مرتبة الإسلام : أصل الدين)

## 5- [باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله]

### بنية الباب :

جعل المصنف رحمه الله هذا الباب هو خاتمة الأبواب التأصيلية، ولعظيم خطر هذا الباب -إذ هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم- فقد تولى الإمام محمد شرحه بنفسه دون سائر أبواب كتاب التوحيد.

وقد ذكر فيه أربع آيات وحديث واحد :-

- 1- الأولى: في شرك "العبادة" الذي ينقض (لا إله إلا الله).
- 2- الثانية: في شرك "الطاعة" الذي ينقض (محمد رسول الله).
- 3- الثالثة: في "الولاء والبراء" وأن المرء لا يكون موحدًا حتى يبغض الشرك ويفارق أهله في الدين.
- 4- الرابعة: ولا يكفيه دون ذلك حبه لله ولدينه ولأهل التوحيد ما لم يبرأ من الشرك.
- 5- الحديث: بل ولا حتى إقراره بالتوحيد بلسانه دون البراءة من ضده.

### نكتة (1) / [أنواع الشرك الأكبر في باب الألوهية] :-

إعلم جنبك الله مقتته أن الشرك في باب الألوهية لا يخرج عن كونه : شركا في "النسك" بعبادة غير الله، أو شركا في "الطاعة" بتبديل دين الله.

قال ربنا عز وجل في الحديث القدسي [إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم: و(حرمت) عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا) بي ما لم أنزل به سلطانا] رواه مسلم.

وحين توعد إبليس بإغواء بني آدم قال {وَلَا مَرْتَهُمْ} {فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} وَلَا مَرْتَهُمْ {فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} وتغيير خلق الله هو تبديل فطرة التوحيد {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم}، وتبتيك آذان الأنعام هو تبديل الدين بالتحليل والتحريم لما لم يأذن به الله (4).

وشرك المشركين في كل زمان لا يخرج عن ذلك: قال تعالى {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا} {وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}، وقال عن أهل مدين {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء}، وقال عن دعوة يوسف عليه السلام لقومه {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}، وقال في شرك أهل الكتاب {اتخذوا أخبارهم وورياتهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون}، وقال عن فتية الكهف مبينا شرك قومهم الذي اجتنبوه {مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحد}، وفي خبر قدوم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم [فلما كلمه الحبران قال لهما (أسلما)؟، قالوا:

أسلمنا!، قال (إنكما لم تسلما، فأسلما)، قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك!، قال (كذبتما، يمنعكما من الإسلام: دعوكم الله الولد، وعبادتكم الصليب، وأكلكما الخنزير) "الجواب الصحيح: 85" فذكر شكرهم في الروبوية : دعوهم الله الولد، وشركهم في الألوهية : عبادتهم الصليب -نسك-، وأكلهم الخنزير -طاعة-.

وحين وفد بنو جعفي من قبائل اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم بايعهم على [أن لا يشركوا بالله شيئا، وأن يأكلوا من قلب الذبيحة] لأنهم كانوا يحرمونه على أنفسهم، قال ابن كثير [ذكر أنهم كانوا يحرمون أكل القلب، فلما أسلم وفدهم أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل القلب وأمر به فشوي وناوله رئيسهم وقال لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه فأخذه ويده ترعد فأكله وقال:

على أني أكلت القلب كرها

وترعد حين مسته بناني] "البداية والنهاية"

(4) والمراد هنا (التبديل الإعتقادي) لا مجرد المخالفة بالعمل دون إعتقاد فإن ذلك معصية كما سيأتي تفصيله في أبواب شرك التحاكم.

## نكتة (2) / [الإسلام الظاهر والإسلام الباطن] :-

إعلم فقهك الله في الدين أن الله فرق بين أحكام الدنيا والآخرة، فالدنيا مبناه على الظاهر فكل من أظهر الإنتساب للإسلام ولم يظهر منه ناقضا فهو المسلم ظاهرا له أحكام الإسلام في الدنيا وسريته إلى الله قال عليه الصلاة والسلام [أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحَقَّ الْإِسْلَامَ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ] البخاري.

أما الآخرة فمبناه على الإسلام الحقيقي -الباطن- وهو الذي بينه المصنف في هذا الباب، وهو الذي جمع الشيخ عبدالرحمن بن حسن شروطه فقال [لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:-

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لصدها] "فتح المجيد".

فهذه الشروط في الإنتفاع الأخروي بهذه الكلمة -إسلام الجنة- قال تعالى {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} ، أما الإنتفاع الدنيوي -إسلام الجنة- فإنه يكون بمجرد النطق بها مع السلامة من نواقضها فإن الله وصف شهادة المنافقين فقال {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} .

وبذلك ينتهي قسم (تأصيل التوحيد) وهو أول أقسام كتاب التوحيد الثلاثة، ويليه قسم (شرك التسبب) ثم قسم (شرك التعبد)، وهما مبنيان على قسم تأصيل التوحيد زياد تفصيل له وتمثيل على مسائله ولذلك قال المصنف رحمه الله في خاتمته :

[وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب] ..

# النكات

على كتاب التوحيد

المسمى

قرة عيون الموحدين

القسم الثاني

أبواب شرك الأسباب

{إياك نستعين}

- 1- الأسباب الباطلة: [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط]
- 2- الأسباب الصحيحة: [باب/ ما جاء في الرقى والتمائم].
- 3- الأسباب المشتركة: [باب/ من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما].

**قاعدة الأسباب:** إعلم عصمك الله أن الشرك يدخل على الناس من أحد بابين (التعبد) و (التسبب) :-

- 1- فالتعبد: بصرف قول -كالدعاء- أو فعل -كالذبح- لغير الله، وهو إخلال بـ[توحيد الألوهية].
- 2- والتسبب: هو التعلق بغير الله أو نسبة الأشياء إلى غير مسبباتها ومناقضة نظام القدر، وهو إخلال بـ[توحيد الربوبية].

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}.

والمصنف رحمه الله قدم قدم الكلام على "شرك الأسباب" لعموم البلوى به ووقوع كثير من الناس فيه وهم لا يشعرون. وأبواب شرك الأسباب تدور على موازين ثلاثة:-

- / **الميزان القدري:** وفيه مراتب ثلاثة (اليقين) و (الشك) و (البطلان).
- **الثاني/ الميزان القلبي:** وفيه مراتب أربعة (الغفلة) و (الإلتفات) و (التعلق) و (التنديد).
- **الثالث/ الميزان الشرعي:** وهو مراتب أربعة (نقص الأدب) و (البدعة) و (الشرك الأصغر) و (الشرك الأكبر).

**الميزان القلبي/** وهو الذي يُنظر فيه إلى إعتقاد العبد وعمل قلبه في كل باب من أبواب شرك الأسباب:

- 1- **فالغافل:** يعلم أن الله هو المانع المعطي النافع الضار، ولكنه يغفل عن ذلك أحيانا فيأخذ بالأسباب الضعيفة السببية أو نحو ذلك من نقص الأدب، وهذا يُنقص كمال التوحيد (الإحسان).
- 2- **الملتفت:** الذي يأخذ بالأسباب الصحيحة ولكن قلبه يتعلق بها فيعتمد عليها وينسى المسبب، وهذا يُنقص كمال التوحيد (الإحسان).
- 3- **المتعلق:** وهو الذي يأخذ بالأسباب الباطلة شرعا وقدرًا -البدع والشرك الأصغر-، وهذا يُنقص أو ينقص مرتبة (الإيمان).
- 4- **المندد:** الذي يغفل في السبب فيجعله مؤثرا بذاته -ربا- أو يصرف له العبادة فيتخذها إلهًا، وهذا ينقص أصل التوحيد (الإسلام).

**الميزان القدري/** وهو الذي يُنظر به لذات المسألة من جهة درجتها في سنن الله التي أجزاها في خلقه وقدرها لكونه:-

- 1- **الأسباب اليقينية:** وهذه الأخذ بها واجب وهي من كمال التوحيد لأنها من الإيمان بالقدر فتركها نقص في التوحيد قال ابن القيم [القيام بالأسباب المأمور بها محض العبودية وهي حق الله على العبد] "مدارج السالكين"، وفي الحديث [إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز] (1).
- 2- **الأسباب المشكوكة:** التي لم تثبت سببيتها شرعا ولا سننا، والأصل في الأخذ بها أنه "بدعة"، إلا أن مراتب الشك فيها تتفاوت: فما قارب اليقين منها -غلبة الظن- قارب حكمه فاستحب الأخذ به، وما قارب البطلان أعطي حكمه وصار شركا أصغرا.
- 3- **الأسباب الباطلة:** وهي التي يُعلم بطلانها شرعا أو قدرا، والأخذ بها شرك أكبر أو أصغر بحسبه.

**الميزان الشرعي/** وهو الذي يُنظر فيه إلى درجة إخلال هذا الفعل بالتوحيد :-

- 1- فنقص الأدب: هو ما منع كمال تحقيق (الإحسان).
- 2- البدع: ما لم تصح سببيتها قدرا وهي تخل بأصل التوحيد ولا تنقصه (الإيمان)، وهي أقل مراتب الشرك الأصغر.
- 3- الشرك الأصغر: وهو يخل بأصل التوحيد ولا ينقصه (الإيمان)، إلا أن إخلاله بالتوحيد أشد من إخلال البدع المجردة.
- 4- الشرك الأكبر: وهو الذي ينقص أصل التوحيد (الإسلام).

• أمثلة :-

تنديد	تعلق	إلتفات	غفلة	
يقين	السحر	تعلق القلب بالأسباب الصحيحة	قول "لولا الله وفلان"	
شك			الكي (جمع بين: ضعف السببية، ونقص الأدب)	
بطلان	دعاء غير الله	التمائم	دعاء الله عند قبور الصالحين	ترك الأسباب
شرك أكبر	شرك أصغر	البدع	نقص الأدب	

**1. لطيفة:** من طريف الأسباب التي هي من كمال التوحيد (القهوة) فإنها تنشط الذهن وتقوي البدن على طاعة الله، ولذلك ألف العلماء في فضائلها والحث عليها وصارت قرينة العلم والعبادة، قال إبراهيم الدميحي [ومن مشايخ الإخوان الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن داود، شيخ الإخوان حين دخلوا مكة شرفها الله، وكان شيخاً جليلاً مهاباً حكيماً مريباً عابداً، أصابته الحمى الوبائية سنة ١٣٥٦ هـ فتوفي، وكان برنامج الشيخ: أنه يقوم إذا إنتصف الليل أو قبله بقليل فيتوضأ ثم يصف قدميه لصلاة الليل، وفي هذه الأثناء تكون زوجته "حسناً العايد" قد أيقظت الطلاب الذين كانوا يسكنون مع الشيخ في بيته ملازمة لشيخهم، ثم يُخرج لهم **القهوة** والهيل من جيبه ويتابع صلاته، والتلاميذ بين قراءة وصلاة وشيخهم قد نصب قدميه كالخشبة يصلي صلاة طويلة، ثم يُقبل عليهم فيصبون **قهوته** وهم معه، ثم يأمر ابنه محمد فيقرأ عليه من حفظه غيباً قرابة ثلاثة أجزاء، ثم يقومون إلى صلاة الفجر وبعد الصلاة يقعد في مصلاه بين ذكر وقراءة قرآن حتى إرتفاع الشمس ثم يدخل بيته قرابة النصف ساعة، ثم يجلس في بيته وقد إجتمع الناس ويقرأ عليه طلاب العلم متون العلم] "صفحات مطوية من تاريخ الجزيرة العربية: 205"، وفي ترجمة الشيخ السعدي رحمه الله [وكان حريصاً على قيام الليل في مقامه وسفره، ويتخذ الوسائل التي تعينه على القيام فمن ذلك: الساعة المنبهة، وكانت لديه **دلة قهوة** صغيرة يقوم بتسخينها ليشرب منها بين التسليمات من أجل أن تبعث فيه النشاط ويتقوى على الصلاة] "مجموع مؤلفات السعدي: 320/1".

ثم إن القهوة شراب عربي خالص، كان إكتشافه أولاً في جزيرة العرب ومنها إنتشر للعالم كله، حتى كان النصراني في مبتدأ الأمر يحرّمونه ويسمونهم (الشراب المحمدي)! انظر في ذلك كتاب "سفر القهوة" لعبد الكريم الشطي.

(أولاً: الأسباب الباطلة "التمائم")

## ٦- [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف رحمه الله في هذا الباب آية وأربعة أحاديث:

1 - الآية: هي الأصل العام وهو أن الله هو النافع الضار وأن التوكل عليه هو خلاصة التوحيد.

2 - الحديث الأول: أن الشرك يضر صاحبه في الدنيا والآخرة.



3 - الحديث الثاني: أنه لا ينفع ولا يؤول أمر صاحبه إلى خير.

4 - الحديث الثالث: أن التعلق بالأسباب المحرمة شرك.

5 - الحديث الرابع: أنه شرك أصغر.

قال الإمام محمد [توفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرهما منه، والخير الذي دل عليه: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه] "الأصول الثلاثة".

## النكتة (1) // التوحيد والتوكل:-

إعلم رحمك الله أن التوكل هو لب التوحيد، وحين وصف النبي صلى الله عليه وسلم الذين حققوا التوحيد وإستوفوا فضله أرجع صفاتهم كلها إليه فقال [وعلى ربهم يتوكلون]، قال الشيخ سليمان رحمه الله [الأصل اجمع الذي تتفرع عنه الأفعال والعبادات هو التوكل على الله وصدق الإلتجاء إليه والإعتماد بالقلب عليه، وهو خلاصة التفريد ونهاية تحقيق التوحيد] "تيسير العزيز الحميد".

وذلك أن التوكل هو ثمرة العلم بالله وبأسمائه وصفاته فهو التوحيد العملي ولذلك قال السلف [التوحيد علم القلب، والتوكل عمل القلب] قال تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}، وتفاوت الناس في التوكل سببه تفاوتهم في العلم بالله شرعا وقدرًا قال ابن القيم [بحسب معرفة العبد يصح له مقام التوكل، وكلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى -إلى أن قال- فمن لا توكل له لا إيمان له قال تعالى {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}] "مدارج السالكين".

**وحقيقة التوكل:** ترك الإلتفات القلب لغير الله -لا ترك الأسباب- قال تعالى {إهدنا الصراط المستقيم} أي إستقامة القلب لك، وقال {فأقم وجهك للدين حنيفا} أي مستقيم القلب لله معرضا عن الإلتفات لغيره ولذا جاء في خبر إبراهيم عليه السلام مع هاجر وإبنها [وجعل لا يلتفت إليها] البخاري، وجاء في وصف الصديق رضي الله عنه [وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاة] البخاري، وحين سئل الإمام أحمد: أي شيء صدق التوكل؟ قال [أن لا يكون في قلبك أحد من الأدميين] "التوكل لإبن أبي يعلى" .. وهذا كله من كمال توحيدهم!.

**أركان التوكل:** التوكل إنما يحصل بثلاثة أمور:-

- 1- العلم بالله وبأسمائه وصفاته، وهذا مقتضى البسمة، قال يعقوب عليه السلام {وأعلم من الله مالا تعلمون}.
- 2- الرضى به ربا في شرعه وقدره -الذين هما ظل لأسمائه وصفاته جل وعلا-، وهذا مقتضى الحمدلة، قال عليه الصلاة والسلام [رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا].
- 3- الإستسلام والإنقياد له في ذلك كله: بالأخذ بأسباب شرعه وقدره، وهذا مقتضى الحسبة، قال تعالى {واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار} فأثنى عليهم بالجمع بين أسباب الشرع والقدر. ولما كان الإيمان قول وعمل كان الإخلال بالأسباب القدرية إخلال بالعمل فهو نقص في كمال الإيمان قال عليه الصلاة والسلام [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف]، فالأخذ بالأسباب من صميم "التوكل" وهو من تحقيق التوحيد وأما تركها فهو "تواكل" وأقل أحواله أنه (نقص أدب) مع الله وقد يصل إلى (البدعة) إن جمع إليه إعتقاد.

وقد جمع الله أركان التوكل الثلاثة في قوله {فلا وربك لا يؤمنون حتى: يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما}، فالرد إلى الله ورسوله هو أثر لـ "العلم" به وبأسمائه وصفاته، وسكون القلب إلى حكمه القدرى والشرعى هو "الرضى" به ربا، والإنقياد إلى أسبابه الشرعية والقدرية هو "التسليم"، وفي الحديث [إحرص على ما ينفعك، وإستعن بالله، ولا تعجز] ؛ فمن اجتمعت فيه الأركان الثلاثة فقد حقق التوحيد.

**فائدة:** أعظم التوكل هو التوكل على الله في (تحقيق التوحيد) وذلك من وجهين:

- الأول/ أن التوحيد هو أعظم مقصود وأشرف مطلوب [والتوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه هذا توكل الرسل والأنبياء عليهم السلام] "مدارج السالكين".
- الثاني/ أن التوحيد هو أعظم سبب لحصول كل خير في الدنيا والآخرة: قال ابن القيم [ما دفعت شوائب الدنيا بمثل التوحيد] "الفوائد 73"، وقال الإمام محمد [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب].

قال ابن القيم [وكثير من الناس مغبون في توكله، وقد توكل حقيقة التزكل وهو مغبون! ، كمن صرف توكله إلى حاجة جزئية إستفرغ فيها قوة توكله ويمكنه نيلها بأيسر شيء وتفرغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان والعلم ونصرة الدين والتأثير في العالم خيرا، فهذا تكل العاجز القاصر الهمة] "مدارج السالكين".

## النكتة (2) / الشرك والمصلحة :-

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل مقدمة الكتاب [العاشرة/ الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثمانى عشرة مسألة بدأها الله بقوله: {لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً}، وختمها بقوله {ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً}، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} فبين أن الشرك سبب لشر الدنيا (مذموماً مخذولاً) وشر الآخرة (ملوماً مدحوراً)، وأن الحكمة كل الحكمة والخير كل الخير في "التوحيد" إذ هو الذي فيه مصالح العباد الدنيوية والأخروية.

قال الإمام محمد [توفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرنا منه، والخير الذي دل عليه: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه (2)] "الأصول الثلاثة"، قال ابن القيم [وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها وهو مبني على حرف واحد: وهو عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده؛ وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به.

**فرسلاته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص:** عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بُعث إليه في أصول الدين وفروعه.

فرسلاته كافية شافية عامة، لا تحوج إلى سواها، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا؛ فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به.

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلّمهم كل شئ حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والإقامة والصمت والكلام والعزلة والخلة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت؛ ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي عين؛ وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله؛ وعرفهم الأنبياء وأمهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم؛ وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لأمة قبله؛ وعرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره؛ وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه؛ وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكاييد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقدروا على ذلك؛ وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكاييد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه؛ وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال نفوسهم وأوصافها ودرجاتها وكمائناتها ما لا حاجة لهم معه إلى سواها؛ وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أمور معاشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة.

وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه؛ فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها؟

ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده؛ وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به واستغنوا به عما سواه وفتحوا به القلوب والبلاد، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا وهو عهدنا إليكم؛ وقد كان عمر رضي الله عنه يمنع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يشتغل الناس به عن القرآن؛ فكيف لو رأى اشتغال الناس بأرائهم وزيد أفكارهم وزبالة أذهانهم عن القرآن والحديث؟! فانه المستعان؛ وقد قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، وقال تعالى {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} ["إعلام الموقعين".

فإذا عرفت ذلك معرفة قلب فاعلم أن معارضة الشرع بالقدر هي سنة إبليس حين أمر بالسجود فرد الأمر وقال {خلقتني من نار وخلقته من طين}، فكل تعارض متوهم بين الشرع والقدر فمنتشاه: سوء الفهم للشرع والقدر، أو مرض القلب؛ قال تعالى {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى}.

فإن الله جل في علاه حكيم في كل ما أمر به ونهى عنه علمنا وجه ذلك أو جهلناه، وهو سبحانه خالق الخلق ومقدر الأقدار ومجري السنن، وهو إنما يشرع الشرائع وفقا لذلك قال تعالى {إن ربي على صراط مستقيم}؛ فمن عرف الشرع فقد عرف السنن ونال الحكمة، ومن عرف الواقع حق المعرفة أداه ذلك إلى الشرع ولا بد، ومن هنا روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال [وافقت ربي في ثلاث]، والخلل إنما يدخل على الإنسان جهله بالشرع أو جهله بحقيقة السنن فيتوهم التعارض ويستزله الشيطان بجهله .

**تنبيه:** من الجهل بالقدر الغفلة عن سنة الإستدراج، وقد روى ابن ماجه عن زينب زوجة عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما [أن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا؟ فقلت: خيط رقي لي فيه قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك إن الرقي والتائم والتولة شرك فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف فكنث أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينحسها بيده فإذا رقي كف عنها! ، إنما كان يكفيك أن تقول كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أذهب البأس رب الناس أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً]، قال الإمام محمد [كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك] "باب الإستعاذة".

**وخلاصة المسألة:** أن الله "خلق" الخلق، ووضع "الشرع" و "القدر"؛ وكمال التوحيد بالتسليم له في ذلك كله، قال ابن رجب [فمن حقق اليقين: وثق بالله في أموره كلها ورضي بتدبيره له، وإنقطع عن التعلق بالخلقين، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة] "جامع العلوم والحكم: 18/2".

**(2)** من عظيم فقه إخوان من طاع الله رحمهم الله تفسيرهم قوله تعالى {قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق} أنه إستعاذة من الشرك والبدع والمعاصي إذ هي شر ما خلق الله!.

(ثانياً: الأسباب الصحيحة "الرقي")

## 7- [باب ما جاء في الرقي والتائم]

### بنية الباب :-

بين المصنف رحمه الله في هذا الباب أحوال التداوي ومرتبة كل واحد منها :

- **الحال الأول/** الأدوية الصحيحة: وهي "الرقي" الخالية من الشرك، و "الأسباب الصحيحة"، وهو من كمال التوحيد.
- **الحال الثاني/** الأدوية الباطلة: وهي "الرقي الشركية" و "الأسباب الباطلة"، وهي شرك أكبر أو صغر بحسبه.
- **الحال الثالث/** الأدوية المشكوكه: وهي ما خلت من الشرك ولكن لم يقطع بصحة كونها سببا، وتركها من كمال التوحيد.
- **الحال الرابع/** التعلق بالأسباب الصحيحة: وهو شرك أصغر، ولذلك نبه عليه المصنف وذكره في الباب رغم كون التداوي في الأصل مشروع صحيح السببية.

وصور التداعي كلها لا تخرج عن هذه الأربعة، وتكون درجة كل صورة منها بحسب قربها من أحد هذه الأحوال.

## نكتة (1) // التداعي :-

هذه المسألة مبناه على "قاعدة الأسباب" وكون ما صح منها فالأخذ به من كمال التوحيد، وقد ذكر الله التداعي في مواضع من كتابه، وسمى نفسه (الشافعي) جل في علاه فمن الإيمان بهذا الإسم طلب التداعي بما جعله الله من أسبابه، وفي الحديث [ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله] رواه البخاري، وقد أثنى الله على عيسى بن مريم عليه السلام بعلم الطب {يبرئ الأكمه والأبرص} وجعل ذلك من كمال منزلة نبوته التي هي أعلى مراتب التوحيد: لأنه علم بـ"القدر" الذي هو فعل الله، كما أن "الشرع" هو قوله جل في علاه؛ فكان الجمع بينهما أعلى مقامات العلم به وتوحيده! قال الإمام الشافعي [إن العلم علمان علم الين وعلم النيا: فالعلم الذي للدين هو الفقه، والعلم الذي للعالم هو الطب]، وقد أفرد الأئمة المصنفات الكثيرة في علم (الطب النبوي) وعدوه من شمائل رسولنا عليه الصلاة والسلام الكاشفة عن كمال إحسانه.

وقد تداعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصابه بذلك، وعده عمر بن الخطاب من الإيمان بالقدر فقال [نفر من قدر الله إلى قدر الله] البخاري، أما ما روي عن بعض السلف من تركهم التداعي فإن ذلك لا تنقض به الأثول وتعارض النصوص بل يلتزم له أحسن المخرج، فمن ذلك:-

- كون بعضهم تركه لما أيقن حلول الأجل وعدم رجاء الإنتفاع: فإن طلب الدواء والحالة هذه يكون نقصا في كمال التوحيد لأن السبب صار ضعيف في حقه.
- كون بعضهم تركه لما رأى إلتفات قلبه إليه وتعلقه به وهجوم ذلك عليه مع عجزه عن مدافعتة: والدواء الصحص متى تعلق به قلب العبد وإلتفت إليه صار مخلا بكمال التوحيد.

وقد عد بعضهم بضعة عشر وجها لترك بعض السلف التداعي، والقصد أن هذه الأحوال الخاصة لا تعاب على أهلها كما أنها لا تنقض بها الأصول بل يوفق بين هذا وذاك ويعرف للسلف فضلهم وعظيم فقههم وكمال توحيدهم [ثلة من الأولين وقليل من الآخرين].

**فائدة:** يقول أهل الطب أن تعلق المريض بالدواء الضعيف أو في عند من لا يرجى شفاؤه مضجع للبدن معجل بهلاكه، وأن المريض الذي إذا ينس من الإنتفاع بالدواء تركه ولم يتعلق به يفسح له في أجله ويزداد قوة في بدنه ويكون تركه للدواء أبقي عليه .. والتوحيد لا يأتي إلا بخير!.

مسألة: يدخل في التداعي المخل بالتوحيد (التداعي بالمحرمات) القطعية التي لم يبحها الشرع في حال سعة ولا ضرورة وإن كان يحصل بها الإنتفاع إذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، والتداعي بها مع العلم بحرماتها علامة تعلق القلب.

• أمثلة :-

	تدديد	تعلق	إلتفات	غفلة
يقين	السحر	النشرة		الكي
شك		التولة		الدواء الذي لا يرجى نفعه
بطلان	دعاء غير الله	التمائم	الأدوية الباطلة السببية (الخرافات)	ترك التداعي الصحيح
	شرك أكبر	شرك أصغر	البدع	نقص الأدب

## نكتة (2) // الرقية والتميمة:-

### أولا/ الرقية:

خلق الله السماوات والأرض وجعل لها سننا وأنظمة وقدر لهذه الأنظمة الكونية مفاتيحها، فمن هذه المفاتيح [الكلام] فإن الله جعل منه ما يؤثر في الكون تأثيرا حقيقيا، فمن ذلك:-

- قوله تعالى {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} قال مجاهد [تكلم ذلك العالم بكلام فدخل العرش تحت الأرض حتى خرج إليهم] وقوله تعالى (علم الكتاب) يدل على كونه علم خاص وسر من أسرار الكون كشفه الله له وأطلعه عليه وليس ذلك مجرد الدعاء، ولذا قال سليمان عليه السلام {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني] قاله ابن عباس.
- وفي خبر هاروت وماروت أن المرأة قالت للملكين [أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما؟ فأخبرها فطارت فمسخت جمرة وهي هذه "الزهرة" -الكوكب-] قال الإمام محمد في فوائده على هذه القصة [الحادية والخمسون/ أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علمه، فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فتأم من الناس لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق] "مجموع مؤلفات الإمام محمد: 25/5".
- وقال عليه الصلاة والسلام [إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه] ولابن القيم شرح عليه نفسي في "زاد المعاد" في (فصل العلاج بالأدوية الروحية).
- وللمقرئ خبر عجب في رفع الأثقال بالكلام تجده في "الغرف العلية في طبقات الحنفية: 966".
- والطلاق كلمة تصبح بها زوجة الرجل أجنبية عنه.
- والسحر كلمات قد تقلب الأعيان قال كعب الأحبار [لولا كلمات أقولهن لقلبتني يهود حمرا]، والأذكار كلمات تدفع السحر وسائر الشرور الدنيوية والأخرية.
- والتسمية كلمة تؤثر في عين الذبيحة فتجعل اللحم طاهرا أو نجسا، ويزعم أهل الزراعة أن للكلمات تأثير على الأشجار وثمارها ولهم في ذلك أخبار.
- وحين لئن طعام عند بعض السلف أراقه ولم يطعمه لفقه السلف بتأثير الكلام على الأعيان، وفي مصنف بن أبي شيبة في (باب لعن البهيمة) عن النبي صلى الله عليه وسلم [دعوها فإنها ملعونة] قال عمران بن حصين رضي الله عنه: فكأنني أراها تجول في السوق لا يعرض لها أحد.
- قال ابن حزم [وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدم الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فيبيس ويبدأ من يومه ذاك بالذبول ويتم يبسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلع القشرة إذا تم يبسها جربنا من ذلك ما لا نحصى، وكانت هذه المرأة ترقى أحد دملين قد وقعا على إنسان واحد ولا ترقى الثاني فيبيس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقى حامله منه الأذى الشديد، وقد أخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقتة وتجربينا لصدقه وفضله وأنه شاهد ما لا يحصى من النساء يتكلمن على الذين يمشون الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد] "فوائد ابن حزم لابن عقيل: 166".

والقصد أن "الكلام" سبب من الأسباب فقاعدة الأسباب تجري عليه: فمنه المشروع كالرقية، ومنه ما هو شرك كالسحر ودعاء غير الله.

**والرقية:** كلام يُتداوى به ويؤثر في الأعيان، فهي نوع من الطب ولذا سمت العرب الطبيب "راقي" قال تعالى {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّوَاصِي (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}، ولما كان العرب أعظم الأمم عناية بالكلمة كانوا أبرع الناس في طب الرقي، وقد أقر الإسلام العرب على رقاها فقال عليه الصلاة والسلام [اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقية ما لم تكن شرك] ولذلك أن الرقية بابها التطيب لا التعبد فميناها على التجريب لا التوقيف قال الإمام الشافعي [يرقى بكتاب الله أو بما يُعرف].

**تنبيه:** زل الطب المعاصر بحصره التداوي في الأدوية المخبرية، والأمر أوسع من ذلك فكم من دواء ثبت نفعه وجهل الأطباء علة ذلك منه وعجزت المختبرات عن فهمه، والشرع يوسع باب التداوي بكل ما جرب ونُفع متى خلى من الشرك أو المحرمات، والسبب في النظرة القاصرة للتداوي اليوم أنها بنيت على مدرسة الطب الأوروبية وحدها دون غيرها من مدارس الطب عند الأمم ولذا كانت نظرة محدودة قال ابن القيم في كلام له نفيس حول تنوع مدارس الطب [وهذا كما تقدم أن أدوية غالب الأمم والبوادي بالأدوية المفردة وعليه أطباء الهند، وأما الروم واليونان فيعتنون بالمركبة، وهم متفقون كلهم على أن من مهارة الطبيب: أن يداوي بالغذاء، فإن عجز فيالمفرد، فإن عجز فيما كان أقل تركيبا؛ وقد تقدم أن غالب عادات العرب وأهل البوادي (الأمراض البسيطة) فالأدوية البسيطة تناسبها وهذه لبساطة أغذيتهم في الغالب، وأما

(الأمراض المركبة) فغالبا تحدث عن تركيب الأغذية وتنوعها واختلافها فاخترت لها الأدوية المركبة والله تعالى أعلم [الطب النبوي"، وعليه ففي **طب الرقية** إذا كان المرض مركبا إحتاج إلى دواء مركب فإذا كان أذى الشيطان (روحي) و(بدني) كان من كمال الرقية أن تدخل فيها أدوية أصحاب طب الأبدان وعدم إقتصره على الرقية الكلامية ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإيراد الحمى بالماء مع إخباره أنها من فيح جهنم! ولكن لما كان أثرها على البدن ناسبها ذلك، ومثله الوضوء من الغضب لأن الماء يطفئ نار الشيطان والغضب منه.

وذلك أن أذى الشيطان لابن آدم على ثلاثة أضراب قال عليه الصلاة والسلام [أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَقْفِهِ] ألو داود: فـ "**النَّفخ**" هو تسلط الشيطان على المزاج والخلق وأعظمه الكبر والغضب وسائر مساوئ الأخلاق وفساد الأمزجة وفي الحديث [قد نفخ الشيطان في منخريها] قاله عليه الصلاة والسلام للجارية التي غنت فجاوزها الطرب حدها، و "**النَّفث**" تسلطه على الروح وأعظمه السحر والوسوسة قال تعالى {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، و "**الهَمْز**" تسلطه على البدن وأعظمه القتل والجنون وسائر الأمراض قال عليه الصلاة والسلام [مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ جِئْنَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرِيَمَ وَابْنَهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: {وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}] البخاري؛ فما كان من ذلك تسلطا (روحيا) محضا نفعت فيه الرقية الكلامية المحضة، وما كان من ذلك تسلطا على (الروح) و (المزاج) إحتاج مع الرقية إلى ما يناسبها إلى ما يناسبها من الأدوية كالشعر والحكمة والخُلطة النافعة ونحوها، وما كان مع ذلك تسلطا على (البدن) إحتاج مع الرقية الكلامية إلى أدوية طب الأبدان .. وكل ذلك من الرقية !.

وبذلك تعلم جهل من يعارض بن ذلك فيجعل إثبات وجود العارض البدني منافي للتسلط الشيطاني فيقتصر على الأدوية البدنية، ومثله من جعل وجود الأذى الروحي منافي للعلاج البدني؛ فإن ذلك كله من الإقتصار على الأدوية المفردة للأدواء المركبة ومعلوم أن الدواء كلما كان أوفق للمرض كان أقوى أثرا وأعجل منفعة.

والحاصل أن كل كلام يداوي الأمراض (الروحية) او (المزاجية) او (البدنية) فهو "رقية" :-

**أولا/ الرقية البدنية:** وأنفعها الرقية من "السموم" قال عليه الصلاة والسلام [لا رقية إلا من عين أو حمه] أي لا رقية بدنية أنفع من رقية (العين) التي هي سم الروح و (الحمه) التي هي سم البدن، ولذا كانت أشهر رقى العرب البدنية الرقية من ذوات السموم قال الهذلي :

وهم يذلون لها من بعد عزتها

كما تذل الطفى من رقية الراقي

والطفى جنس من الأفاعي، وقال الآخر يصف حية:

تناذرها الراقون من سوء سمها

فتطلقه حيناً وحيناً تراجعه

وفي الحديث [وما أدراك أنها رقية] متفق عليه.

وأما (العين) فيقول ابن القيم [يجد الشرير من الناس راحة ولذة في إيصال شره إلى من يوصله إليه، وكثير من الناس لا يهناً له عيش في يوم لا يؤذي فيه أحدا من بني جنسه، ويجد في نفسه تأديا بحمل تلك السمية والشر الذي فيه حتى يفرغه في غيره فيبرد عند ذلك أنينه وتكن نفسه] "مدارج السالكين".

**ثانيا/ الرقية الروحية:** وأشهرها عند العرب الرقية من "العشق" وأصلها عندهم الرقية الكلامية فإذا اشتد العشق وأثر في بدن صاحبه ضموا إلى ذلك دواء بدنيا يسمونه (السلوانه) لأن من سقىه يسلو عن محبوبه قال عروة بن عزام:

جعلت لعراف اليمامة حكمه

وعراف نحد، إن هما شفياني

فقالا: نعم! نشفي من الداء كله

وقاما مع العواد يبتدراني

فما تركا من رقية يعرفانها

ولا سلوة إلا وقد سقياني

وقال آخر:

ولقد سقوني سلوة فكأنما

قال المداوي للخبال بها إزدد

وأخر سقوه فسلا فهو يدعو على من سقاه:

سقوني سلوة فسلوت عنها

سقى الله المنية من سقاني

ثالثا/ الرقية المزاجية: وأشهرها عندهم الرقية من "البخل" و "الجبن"، فمن ذلك قول أبي العتاهية في عمر بن العلاء الجواد حين قدم عليه ومدحه فأبطأ عليه بالعطاء:

أصابك علينا عينك الجود يا عمر

فنحن لها نبغي التمام والنشر

أصابتك عين في سخائك صلبة

ويا رب عين صلبة تغلق الحجر

سنرتيك بالأشعار حتى تملها

فإن لم تفق منها رقيناك بالسُّور

وكان عمر ينتظر مالا يأتيه من وجه فلما بلغه قول أبي العتاهية قال لصاحب بيت ماله: كم عندك؟ قال: سبعون ألف درهم، قال: إدفعها إليه وإعذرني عنده ولا تدخله علي فأني أستحي منه.

ومن ذلك أيضا قول المتنبي في مدحه كافور يرجو ان يعطيه ولاية:

وشعر مدحت به الكركدن

بين القريض وبين الرقى

فالشعر رقية لأدواء الأمزجة ومسائى الأخلاق وقد كتب معاوية رضي الله عنه إلى زياد في ابنه [ما منعك أن ترويه الشعر؟: فوالله إن العاق ليرويه فيبر، وإن البخيل ليرويه فيسخو، وإن الجبان ليرويه فيقاتل].

**لطيفة:** شكى الناس إلى التقي ابن تيمية رجلا ثقيلا بذينا سكن في خطتهم، فسأل عن داره فدل عليه فلما وقف أمامها قرأ {ثم إنصرفوا صرف الله قلوبهم} سبعا، وقرأ {ذهب الله بنورهم}؛ فلم يمض يومان إلا وقد إنتقل بعيدا [الإختيارات المرضية لابن طولون"، وهذا من الرقية للأدواء المزاجية.

والقصد أن مفهوم [الرقية] واسع وليس هو الصور المحدودة المعروفة عند أكثر الناس اليوم بل هو كل تدوى بكلام، ومنه في الطب العصري (العلاج النفسي).

## ثانيا/ التيمية:

الأصل في الرقية أنها "الكلام" وقد يضم إليه أموراً محسوسة كالماء والزيت والتراب والعقاقير ونحو ذلك، فكل هذه الأمور التي تزداد في الرقية الكلامية هي من جملة الأسباب فتجري عليها قاعدة الأسباب: فما كان منها سببا ظاهر السببية شرع، وما كان منها مشكوكا أو ضعيف السببية فتركه من كمال التوحيد، وما كان منها باطلا من جهة الشرع أو القدر فهو الشرك بحسبه؛ والأصل عدم التوسع في ذلك لأمرين:-

- 1- أن طب الرقية في الأصل هو التداوي بالكلام، فما زاد عن الكلام فالأصل عدم دخوله فيه إذ ذلك ملحق بأنواع الطب الأخرى لا طب الرقى.
- 2- ان النصوص التي جاءت موسعة في الرقية إنما جاءت في الكلام لا فيما زيد عليه من المحسوسات كقوله عليه الصلاة والسلام [عرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقية ما لم تكن شرك].

و"التيمية" في أصلها : خيط مرقى، والعرب تسميها تيمية لأنها از عم أنها تتم نفع الرقية وتثبت أثرها.

وسبب تعاطي العرب للتمائم هو كون "الكلام" في الغالب يكون أثره روحيا، فإذا أريد نقل نفعه للبدن أحتيج معه إلى شيء محسوس ، وهذا معنى صحيح في نفسه إلا أن التمام سبب باطل شرعا وحسا في نقل نفع الرقية للبدن ولذا كان شركا.

**فائدة:** كانت العرب تسمي الكهان والمشعوذين الذين يعملون التمام بـ(الْمُنْجِسَة) كما ذكر صاحب اللسان، لأنهم كانوا يعلقون الخرق النجسة على الصبيان دفعا للعين؛ ونجاستها الشركية أشد من نجاستها الحسية قال تعالى {إنما المشركون نجس}.  
[نجس].

**مسألة/** يزعم أهل الطب أن من الأساور عندهم ما فيه نفع للبدن فهل تشرع أم أنها تلحق بالتمائم الشركية؟

نقول: ما كان منها سببا ظاهرا للسببية قد عرف الناس وجه نفعه جاز إستعماله ولم يكن تميمة شركية، ونظيره عند العرب "الرتيمة" وهي خيط كانوا يعقدونه في أصابعهم إذا أرادوا إستذكار شيئا يجعلون الخيط علامة عليه، قال الشاعر:

إذ لم تكن حاجاتنا في نفوسكم

فليس بمغن عنك عقد الرتائم

**مسألة/** ما حكم تعليق المصحف لرفع البلاء أو دفعه وهل هو سبب ظاهر؟

- **أولا: تعليق المصحف لرفع البلاء:** اختلف في تعليق المصحف كما بين المصنف رحمه الله، والذي يظهر كون التعليق لا يدخل في "الرقية" كما أن حفظ الحافظ للقرآن لبي رقية له ما لم يقرأه على نفسه.

ومن رخص في ذلك من السلف فالغالب في كلامهم الترخيص فيه للصبيان للحاجة إذ هم عاجزون عن قراءة القرآن مع حاجتهم للرقية، أو من إشتد مرضه فضعن عن أن يرقى نفسه أو من أم يجد من يرقيه، فكانهم عدوا ذلك ضرورة تقدر بقدرها قال الإمام مالك [لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك، إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين] "التمهيد".

والذي يظهر من كلام المصنف رحمه الله إختياره عدم المشروعية كما هو قول ابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه.

**تنبيه:** فرق بين (تعليق المصحف) و (كتابة الآيات) على للبدن أثناء الرقية أو كتابتها على ورق وغمسه في الماء وشربه، فإن الكتابة ظاهرة في الإسترقاء بخلاف التعليق كما لا يخفى والعرب تقول [القلم أحد اللسانين].

- **ثانيا/** تعليق القرآن للدفع: أجمعوا على أن تعليق القرآن قبل نزل المرض لدفعه أو دفع العين شرك، وإنما كان خلافهم فيما يعلق بعد نزول البلاء، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [ليست التميمة ما يعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما يعلق به قبل البلاء] رواه الحاكم.

**لطيفة:** مما قيل في سبب تسمية القصائد السبع المشهورات بـ"المعلقات السبع" أنه كان من عادة نساء العرب أن يتخذنها حليا ويعلقنها قلائد يتزين بها، وذلك من تعظيم العرب لهذه القصائد وأبصارهم لجمالها.

ولعله من ذلك أخذ الناس تزيين مجالسهم بتعليق بعض الآيات والسور فيها، وهذا إن كان يعتقد فاعله دفع العين والبلاء فهو تميمة شركية، وإن كان لا يعتقد ذلك وإنما يفعله للزينة فهو نقص أدب مع كلام الله يخل بكمال التوحيد.

**مسألة مهمة/** أثر الرقية ونفعها راجع إلى قوة نفس الراقي وعزمه في رقيته لا لصلاحه ضرورة، إذ كما سبق أن هكا الباب هو من أبواب "التطبيب" لا "التعبد"، وقد كان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جارية يهودية ترقئها بكتاب الله، ومن فقه العرب في ذلك قول الشاعر يرثي المغيرة بن شعبه:

إن تحت التراب عزما وحزما

وخصيما ألد ذا معلاق

حية في الوجار أريد

**لا ينفع السليم منه نفث الراقي**

فبين أن الرقية في حقيقتها: مدافعة بين عزم الراقي والمركي منه، فأيهما كان أشد عزما وأقوى نفسا كانت الغلبة له، ومن هنا سمت العرب للرقية "عزيمة" لأن الراقي يعزم على الداء أن يخرج من البدن، فإن إجتماع مع قوة نفس الراقي كون الكلام عظيما في ذاته كالقرآن وأسماء الله ورفي النبي والصحابه كان إنتفاع المرقى أعظم وشفاءه بأذن الله أسرع.



لطيفة: عن مسلم بن الوليد [أن رجلا في شجرة سمع فيها حركة، فتكلم فلم يُجِب، فقرأ "آية الكرسي" فنزل إليه شيطان، فقال: إن عندنا مريض فيم نداويه؟ قال: بالذي أنزلتني به من الشجرة!] "لقط المرجان للسيوطي:150".

فائدة/ من أعظم ما يرقى به كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفي وصية نوح عليه السلام لإبنه [أْمُرْكَ بِ (لا إله إلا الله) فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ خَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ (لا إله إلا الله) و (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) فَإِنَّ بِهَا صَلَاةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرَزَقُ الْخَلْقُ] "الأدب المفرد"، قال سفيان الثوري [ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول (لا إله إلا الله)] "سير النبلاء: 260/7"، قال أبو الجوزاء [والذي نفسي بيده إن الشيطان لازم بالقلب ما يستطيع صاحبه أن يذكر الله عز وجل إلا من طرد الشيطان من قلبه بـ(لا إله إلا الله)، ثم قرأ {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا}] "الذكر لابن أبي الدنيا"، وقد رقى بعض أهل العلم في مدينة الرياض رجلا ممسوسا فكان مما قالت الجن على لسانه: أن الشيخ ابن باز رحمه الله كان إذا قال (لا إله إلا الله) ضاقت على الشياطين أرض الرياض كلها! وذلك لشدة يقينه بها وقوة عزمه عزمه فيها فهو يقولها قول الجازم بها الذي لا يشك فيها ولا يتردد، بل إن هذه الكلمة العظيمة لقوة تأثيرها لا تزال رقية عند نصارى الأسبان إلى يومنا هذا أخذوها عن مسلمي الأندلس فبقيت فيهم رقية يداوون بها مرضاهم مع كون أكثرهم لا يعرف معناها!.

# النكاحات

على كتاب التوحيد

المسمى

قرة عيون الموحدين

القسم الثالث

أبواب شرك النسك

{إياك نعبد}

## أ / العبادات العملية.

## ب/ العبادات القولية.

**فصل (1) / تجريد التوحيد.**

**فصل (2) / ذرائع الشرك "الغلو".**

**فصل (3) / الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب".**

## ج/ العبادات القلبية.

**فصل (1) / شرك التحاكم.**

**فصل (2) / سوء الأدب مع الله.**

**فصل (3) / تعظيم الله الذي هو خلاصة التوحيد.**

## أولاً/ العبادات العملية :-

- 1- الشرك الأكبر : [باب ما جاء في الذبح لغير الله]
- 2- الشرك الأصغر : [باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله].

**قاعدة التعبد:** قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله [(العبادة) مشتقة من التعبد وهو التذلل والخضوع يقال: طريق معبد أي مذل قد وطنته الأقدام، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين.

وفي الشرع لها تعاريف عند العلماء أحدها ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله (العبادة: إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، ومنها ما عرفه بعض الفقهاء بقولهم (العبادة ما أمر به شرعاً من غير إطراد عرفي ولا إقتضاء عقلي) [شرح كشف الشبهات].

فكل قول أو عمل طالب الشرع المكلفين به على جهة التقرب أو أتنى على أهله أو رتب الثواب عليه فهو عبادة صرفها لغين الله شرك أكبر، ولا فرق فيه إن اعتقد فاعلة الربوبية فيمن صرف العبادة إليه أو لم يعتقدها قال تعالى {ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار} وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه [أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم- وفي غنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله). قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم] رواه الترمذي.

فنية المكلف لا تحسن قبح الشرك قال تعالى {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً} ولم يعذر الله في الشرك غير المكره {ومن كفر بعد إسلامه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم}.

(العبادات العملية: الشرك الأكبر)

## 9- [باب ما جاء في الذبح لغير الله]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديثين :

- 1- الآية الأولى: في بيان كون الذبح عبادة.
- 2- الآية الثانية: في بيان وجوبها.
- 3- الحديث الأول: في بيان حرمة الذبح لغير الله.
- 4- الحديث الثاني: في بيان كونه شركا أكبر.

والذبح لغير الله هو أعظم صور الشرك النسكي وآخر ما يصل إليه المشرك من دركات الشرك.

### نكتة (1) // الذبح والتوحيد :-

إعلم رحمك الله أن "القربان" هو رمز يفعله المرء إظهارا للتعبد للمقرب إليه، وهو من أخص صور العبادة ولذا إتفقت عليه جميع شرائع الأنبياء قال تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ} فَأَلْهَمَكُمْ إِلَهَ وَاجِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَتَّبِعِ الْمُخْبِتِينَ}.

**ومعنى النحر:** إرخاص الدنيا وإخراجها من القلب وتقديم حب الله على حبها، كما أن معنى السجود إخراج الكبر من القلب بوضع أشرف ما في الإنسان -وجهه- على الأرض إسترضاء لله وتقربا إليه، وما إستزل الشيطان الناس بشيء كـ"الشح" و "الكبر" فهما شر أدواء القلب، فالذبح يزكي العبد في الأولى والسجود يزكيه في الثانية ولذا كانا قرينان في كتاب الله.

**وحقيقة القربان:** أن يعتمد العبد إلى أنفس شيء عنده فينحره طلبا لرضوان الله وتقديما لحبه على كل محبوب، ومن هنا لما كانت منزلة إبراهيم عليه السلام من رضوان الله أشرف المنازل ومن محبته أعلاها كان قربانه لائقا بهذه المنزلة الرفيعة قال تعالى {فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ نَذِيرٌ وَمَا يُؤْمَرُ بِحُرْمَتِ اللَّهِ مِنْ أَشْيَاءِ اللَّهِ فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} فلما وقع منه تقديم حب الله على كل محبوب حصل المقصود فرفع البلاء قال تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْحَبِيبِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ النَّبِيُّ الْمُبِينُ (106) وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} إذ المقصود من القربان إنما هو عمل القلب قال تعالى {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَافُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ} قال الإمام محمد [الثالثة عشرة/ معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم] قال ابن القيم [الخلعة، وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها، بحيث لا يبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما، وهذا المنصب خلص لخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد، كما قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً"، وفي الصحيح عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله"، وفي حديث آخر: "إني أبرأ إلى كل خليل من خلته".

ولما سأل إبراهيم الولد، فأعطيه، وتعلق حبه بقلبه، فأخذ منه شعبة؛ غار الحبيب على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه . وكان الأمر في المنام، ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاءً وامتحاناً. ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه، ليخلص القلب للرب. فلما بادر الخليل إلى الامتثال، وقدم محبة الله على محبة ولده؛ حصل المقصود، فرفع الذبح. وفدي بذبح عظيم، فإن الرب تعالى ما أمر بشيء ثم أبطله رأساً، بل لابد أن يبقى بعضه أو بذله، كما أبقى شرعية الفداء، وكما أبقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة، وكما أبقى الخمس صلوات بعد رفع الخمسين وأبقى ثوابها] "الداء والدواء"، قال مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

عودت نفسك عادات خلقت لها

صدق اللقاء وإنجاز المواعيد

وبهيمة الأنعام آمم أمثالنا تسبح الله وتحس وتعقل وتتخاطب فيما بينها قال تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم﴾، والله هو الذيمكننا منها ووهبها لنا لننتفع بها ونتمتع فكان من شكر الله عليها أن لا نقر بها إلا إليه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ولذلك يقول الذابح عند ذبحه [بسم الله اللهم منك ولك]، قال تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وإنحر﴾ و"الكوثر" الخير الكثير ومنه بهيمة الأنعام فمن شكره جل وعلا عليها أن تقترب بها إليه عند ذبحها قال الإمام محمد [وقوله تعالى ﴿فصل لربك وإنحر﴾ أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما : الصلاة والنسك ، الدالتان على التواضع ، عكس حال أهل الكفرة والنفرة ، وأهل الغنى عن الله ، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم ، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، أو لسوء ظنهم بربهم .

ولهذا جمع الله بينهما في قوله (( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له )) الآية ، الأنعام : 162 ، 163 ، وقوله (( ونسكي )) هو الذبيحة لله ابتغاء وجهه .

والمقصود : أن الصلاة والنسك ، هما أجل ما يتقرب به إلى الله ، وأجل العبادات المالية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة ، لا يجتمع له في غيرها من العبادات ، كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع في النحر من حسن الظن ، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص .

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه ، فكان كثير الصلاة لربه ، كثير النحر له ، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة (1) ، وكان ينحر في الأعياد وغيرها ، وفيها : تعريض بحال الأبتى الشائى ، الذي صلاته ونسكه لغير الله ، وفيها : ترك الالتفات إلى الناس ، وإلى من ينالك منهم ، بل صل لربك وانحر .

ومن فوائدها اللطيفة : الالتفات في قوله (( فصل لربك وانحر )) الدالة على أن ربك مستحق لذلك ، وأنت جدير بأن تعبدته وتنتحر له ، والله أعلم] "الدرر السنية : 446/13".

وقد أفرد ربنا جل وعلا (سورة الأنعام) في بيان أحوال شائى الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الذبح وذكر صور شركهم فيه، فمن ذلك:-

- 1- الذبح لغير الله أو الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله : قال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَّعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام : 136].
- 2- قتل الأولاد: ومنه الواد العصري "الإجهاض" قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا لِأَدِيمِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِئُرْثُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137].
- 3- تحريم الأنعام وتحليلها بمحض الذوق بلا حجة من الله ولا برهان: فمن تحريمهم ما أحل الله ﴿وقالوا هذه أنعام وحرت جبر لا يطعمها إلا من نشاء برعهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ففترأ عليه سبجزيهم بما كانوا يفترون﴾ [الأنعام 138]، ومن تحليلهم لما حرم الله ما جاء في قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ وإن الشياطين ليؤخون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أعطتموهم إنكم لمشركون﴾.

ومن صور هذا الشرك المعاصرة (مذهب النباتية) التي تحرم ذبح الحيوانات أو أكل لحومها وتبطل حكمة الله من خلقها وتسخيرها، ومنشأ خلل القوم تغليبهم أحد النظر على الآخر: وذلك أن الإنسان مركب من "النفس" و

"العقل" ولكل منهما نظره، والكمال الإنساني إنما يحصل بالموازنة بين الأمرين والإستقامة بين الطريقتين والنظر إلى الأمور بكلتا العينين فإن الزيغ إنما يقع بتغليب أحد الطرفين على الآخر حتى يضعفه أو يلغيه، ومثال ذلك: محاولة تقنين أحوال النافس وفلسفة مشاعرها لتحويلها إلى قانون عقلي، والنفس أوسع من العقل فحصر أحوالها في الإطار العقلي مفسد لـ(جمال النفس) و (صحة العقل) معاً! ، ومثال ذلك مسألتنا هذه فإن الرحمة بالحيوان في طبيعة النفس السوية من أرقى الأحوال وأكملها وهي في صورتها هذه عبادة ففي الحديث [أَنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي لَأَذْبِخُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ : إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا فَقَالَ : وَالشَّاةُ إِنْ رَجَمْتَهَا رَجَمَكَ اللَّهُ] الهيثمي، وكان عدي بن حاتم الطائي يفت الخبز للنمل، ويقول: [إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار] البيهقي، وحديث شكوى الجمل والطير للنبي صلى الله عليه وسلم معروف مشهور، فهذا المعنى في سباقه "النفسي" الواسع من أجمل المعاني الكاشفة عن رقة نفس صاحبها وكمالها، إلا أنه إذا غُلِي فيه وتجاوز به الحد فأخرج من هذا الميدان وأريد فلسفته وتحويله إلى معنى "عقلي" فسُدَّ وإنطفاً نور الحق فيه وخرج عن حد الصواب إلى حد السفه، ولذا أنكر العلماء على محمد بن هارون الوراق المعتزلي حين حج ورأى الهدي والأضاحي تنحر فلم يتسع عقله لأحوال نفسه فصنف كتابه [النواح على البهائم] يفلسف فيه حالته النفسية يريد بذلك تحويلها إلى حالة فكرية وقانون عقلي فكفره العلماء لأجل ذلك وعدوه منه زندقة مع كون هذه الحال -الرحمة بالبهائم- في صورتها الأصلية في ميدان النفس محمودة مثاب صاحبها إلا أن الغلو فيها يخرج صاحبها إلى الكفر وعبادة البهائم من دون الله! ، وشرك مشركي العرب إنما كان من هذا القبيل فإنهم كانوا إذا ركب الراكب منهم ناقه فبلغته مقصوده أو ولدت له خمسة بطون أرسل الخامس منها وسيبوه شكراً ووفاء فلا يركب ولا يمنع مرعاً ولا حوضاً ولا يشرب لبنه ولا يؤكل لحمه وإنما قبح ذلك منهم لما صيروه قانوناً فكرياً وديناً متبعاً يعارض به شرع رب الأرض والسموات.

4- طلب الحيل للتخلص من النذور: وهو شرك أصغر لأنه ابتداء وهو سنة يهود ودين مشركي العرب، قال الحارث بن حنظلة:

عننا باطلا وظلما كما تعد

نزر عن حجرة الربيض ظباء

وذلك أنهم كانوا إذا نذر الناذر منهم ثم بخل بما نذر به قدم مكانه ظباءا يفتدي بها غنمه، وهذا من الحيل على الشرع وهو شرك أصغر.

ويلحق به وإن كان دونه في الرتبة: تقريب الأموال مكان الأضاحي والإكتفاء بالحوالات البنكية للجمعيات المختصة بالأضاحي، فإن ذلك إماتة للشعيرة وإذهاب للمعاني الإيمانية فيها مما يصيرها كصلاة المنافق التي لا خشوع فيها ولا ذكر، والله غني عن الأموال وإنما يناله التقوى لأن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم، فمن فعل ذلك بغير عذر فقد وقع في "نقص الأدب" مع الله وأخل بكمال توحيده.

(1) لطيفة: قال محمد بن إسحاق الصيرفي [سألت الزبير بن بكار صاحب جمهرة نسب قریش : منذ كم زوجتك معك؟ قال: لا تسألني! ليس ترد يوم القيامة أكثر كباشاً منها ضحيت عنها سبعين كبشاً] "تاريخ الخطيب".

• أمثلة :-

تثديد	تعلق	إلتفات	غفلة
	ذبح التعظيم (الذبح لله بين يدي المعظم)		
			تقريب المال مكان الأضحية
الذبح للأولياء / التحليل والتحریم (النباتية)	الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله	الحيل للتخلص من النذور	نسيان التسمية
شرك أكبر	شرك أصغر	البدع	نقص الأدب

## نكتة (2) // مسألة الإكراه في الشرك الأكبر :-

إعلم عصمك الله أن الشرك بالله من جهة الإعذار ليس كغيره من المكفرات فإن الله جل وعلا قد قال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وذلك أن حجج الله على الناس في التوحيد قد أحاطت بهم وقطعت عليهم كل عذر :

ففي الصلب "ميثاق"، وفي "النفس" آية

وفي "اللب" مصباح، وفي "الأفق" معتبر

وفي "فطرة" الهادي سراج، و "واعظ"

وفي "الرسل" قطع للحجاج مع النذر

ولشدة خطر هذه المسألة اختلف السلف فيمن فعل الشرك مكرها هل يعذر؟، وإذا كان هذا قولهم في "الإكراه" المجمع على الإعذار به في غير الشرك فما ظنك بما هو دونه من الأعدار!، بل إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخشون المؤاخذه على الشرك حتى بعد التوبة منه!! فقد جاء حديث السبعين ألفا الذين حققوا التوحيد [وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا] ومن هنا قال المصنف رحمه الله في مسائل الباب [العاشرة/ معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين].

فإذا عرفت ذلك معرفة قلب فاعلم أن الأصل في (التقية) للخائف هي السكوت وكنتم الإيمان كما فعل كثير من الصحابة بمكة، ثم جاءت الرخصة لمن أودى في الله بسجن أو عذاب أو توعده بالقتل أن يعطي المشركين (كلمة) من طرف اللسان يدفع بها عن نفسه وذلك في قوله تعالى {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}، فهل الموافقة بالعمل داخلة في هذه الرخصة أم أن الرخصة إختصت بالقول دون العمل؟ هذا هو محل الخلاف:-

- فقال ابن عباس رضي الله عنه [إنما الرخصة في القول لا في العمل]، وإلى ذلك ذهب الإمام الأوزاعي -وهو الناس في المغازي- فقال [إذا فتن الأسير فأكرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فذلك له في القرآن، ولكن ليس له أن يصدق كفره بعمل بسجود لصليب أو وثن أو شرب خمر أو أكل لحم خنزير (2)، فإن أرادوه على هذا فليختر القتل ولا يفعل]، وهو رواية عن الإمام أحمد، وأحد القولين في مذهب مالك، وهو ظاهر إختيار الإمام محمد بن عبد الوهاب كما في مسائله على الباب، ويشهد له قوله تعالى {لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ} وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا.
- وفي رواية لأحمد وقول للمالكية أن الرخصة في آية الإكراه عامة ولا مخصص لها فتشمل القول والعمل، قال ابن تيمية رحمه الله [إذا أكره الرجل على ذلك بحيث لو لم يفعله لأفضى إلى ضربه أو حبسه أو أخذ ماله أو قطع رزقه الذي يستحق من بيت المال ونحو ذلك من الضرر: فإنه يجوز عند أكثر العلماء، فإن الإكراه عند أكثرهم يبيح الفعل المحرم كشرب الخمر ونحوه وهو المشهور عن أحمد وغيره، ولكن عليه مع ذلك أن يكرهه بقلبه ويحرص على الإمتناع منه بقدر الإمكان، ومن علم الله منه الصدق أعانه وقد يعافى ببركة صدقه من الأمر بذلك -إلى قوله- وأما فعل ذلك من أجل فضول الرياسة والمال فلا] "الفتاوى: 373/1"، ودرجة الإكراه المعتبر تتفاوت بحسب الأمر المكره عليه فالإكراه على الطلاق ليس كالإكراه على الكفر والإكراه على الكفر ليس كالإكراه على الشرك والإكراه على الشرك بالقول ليس كالإكراه على الشرك بالعمل، ثم يشترط في ذلك كله أن لا يقدر على التخلص منهم إلا بموافقتهم على ما أرادوا يغلب على ظنه إيقاع الأذى به إذا هو لم يفعل.

وهذا كله مما يبين لك عظم خطر الشرك وبالله المستعاذ من الفتن فإن عافيته أوسع لنا.

(2) شرب الخمر وأكل الخنزير هنا ليس على جهة المعصية وإنما هو على جهة إستحلالها فهو (شرك تحاكم) كما سيأتي تفصيله في بابه.

(العبادات العملية: الشرك الأصغر)

## 10- [باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديث :

- 1- الآية: في مشابهة أهل الباطل في أعيادهم القائمة والاجتماع معهم فيها.
- 2- الحديث: في مشابهم باطلهم ولو بعد زواله وإضمحلاله.

### نكتة (1) // إجتنب الباطل ومفارقة أهله :-

قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} وتسمى هذه السورة بـ"الإخلاص الثانية" كما تسمى {قل هو الله أحد} بالإخلاص الأولى، لأن أحدهما بينت صفة (الإيمان بالله) والأخرى بينت صفة (الكفر بالطاغوت) وهذان الأصلان هما معنى لا إله إلا الله، قال الإمام محمد رحمه الله [أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:-

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له؛ والتحريض على ذلك، والموالاته فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع/ فأشدهم مخالفة: من خالف في الجميع؛ ومن الناس: من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله، ومنهم: من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم: من لم يحب التوحيد ولم يبغضه، ومنهم: من كفرهم وزعم أنه مسبة للصالحين، ومنهم: من لم يبغض الشرك ولم يحبه، ومنهم: من لم يعرف الشرك ولم ينكره، ومنهم: من لم يعرف التوحيد ولم ينكره، ومنهم: -وهو أشد الأنواع خطراً- من عمل بالتوحيد لكن لم يعرف قدره ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم. ومنهم: من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره ولم يعاد أهله ولم يكفرهم؛ وهؤلاء: قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم] "الدرر السنية : 22/2"، وفي الحديث [اقرأ {قل يا أيها الكافرون} ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك] رواه أبو داود، فهذه السورة فيها براءة من صور المخالفة للتوحيد التي ذكرها الإمام محمد جميعاً.

وسورة الكافرون بينت أن المراد بالبراءة من المشركين ليس هو ترك المعاملة بالإحسان أو مودة الأهل والجيران بل المفارقة في الدين وإظهار اعتزال الباطل وبغضه وعدم الميل إليهم فيه ولو شيئاً يسيراً، فمتى علم أهل الباطل من المرء عدم موافقتهم على شيء من شركهم حصلت منه البراءة ووقع إظهار الدين، وما زاد على ذلك فالأصل فيه البر والإحسان قال تعالى {لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، ومن لم يظهر لأهل الباطل اعتزال باطلهم ومفارقتهم فيه لم تحصل منه البراءة ولو سل عليهم السيوف وأجرى منهم النماء إذ (الولاء والبراء) متعلق بأمور الدين لا أمور الدنيا، ومن هنا ختمت سورة الكافرون بالقاعدة الكلية في هذا الباب {لكم دينكم ولي دين}.

وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام بكونه (لم يكن من المشركين) وسمى ملته بـ[الحنيفية] لميلها عن الشرك وأهله ومفارقتها لهم في باطلهم من كل وجه قال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } [ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {وَمَنْ يَزْعُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} قال الشيخ حمد بن



عتيق [فليتأمل العاقل وليبحث الناصح لنفسه عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وهي أشرف البقاع، فإن المعلوم أنهم ما أخرجوهم إلا بعدما صرحوا لهم بعيب دينهم وضلال آبائهم، فأرادوا منه صلى الله عليه وسلم الكف عن ذلك وتوعدوه وأصحابه بالإخراج، وشكا إليه أصحابه شدة أذى المشركين لهم، فأمرهم بالصبر والتأسي بمن كان قبلهم ممن أؤذي، ولم يقل لهم اتركوا عيب دين المشركين وتسفيه أحلامهم، فاختار الخروج بأصحابه ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة على وجه الأرض {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الدرر السنية : الجهاد/199].

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فبين أن المرء لا يكون على الصراط المستقيم حتى يعتزل الباطل ويفارق أهله فيه، وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الأصل الكبير كتابه [إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم].

## نكتة (2) / مواضع الضرر :-

قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَمُوتُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} الآيات، فعلم الله إجتناّب هذه المواضع بثلاثة علل متى وجد أحدها في موضع وجب إعتزاله لأنه (موضع ضرر) :-

- 1 - (كفرا) : إذ أعظم الإضرار هو الإضرار بالدين، وأعظمه "الشرك" و "البدع" ففي حديث بوانه قال عليه الصلاة والسلام [هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية بعد؟] فسأل عن الشرك، ثم قال [فهل كان فيه عيد من أعيادهم؟] فسأل عن البدع.
- 2 - (تفريقا) : وهو الإضرار بجماعة المسلمين.
- 3 - (إرصادا) : وهو التكتير لسواد أهل الباطل وتقوية شوكتهم.

فلا يحقق العبد التوحيد ولو سلم من الشرك وبرء من أهله حتى يفارق مواضع الباطل التي يضار بها الحق وأهله، وكلما كان عنها أبعد كان أكمل توحيد [وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والقاذورات والمزابل] "تفسير القرطبي" قال ابن القيم [حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضارا وتفريقا بين المؤمنين ومأوى المنافقين] "زاد المعاد"، قال ابن تيمية [فدخل في معنى ذلك من بنى أبنية يضاهى بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة من المشاهد وغيرها] "إقتضاء الصراط المستقيم" لتوفر صفة الضرر فيها

وقوله عليه الصلاة والسلام (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) يعم الأماكن والأزمنة والجماعات التي هي شعار لأهل الباطل كلها، قال ابن تيمية [العيد يجمع أموراً منها: يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها **إجتتماع** فيه، ومنها **إعمال** تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً وكل هذه الأمور تسمى عيداً؛ فالزمان كقول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة (إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً)، و الإجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)، والمكان كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا قبوري عيداً)] "إقتضاء الصراط" فكل مكان أو زمان أو إجتماع أو سنن وأعمال خصها أهل الباطل لباطلهم وجب إعتزالهم فيها، وهذا الإعتزال من الهجرة إلى الله بالتوحيد ورسوله بالسنة بإعتزال مواضع الشرك والبدع.

**مسألة:** صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كنيسة بيت المقدس، وبني مسجد ابن عباس في الطائف في مكان اللات بعد هدمها، والفرق بين هذا وبين الذبح لله في أماكن المشركين: أن الذابح مشابه لأهل الباطل في صورة الفعل فإجتتماعه معهم فيه تكتير لسوادهم فمنع منه بخلاف المصلي، بل الصلاة أظهر في مفارقة دين المشركين ولذا جاء عند أبي داود وغيره عن ثمان بن أبي العاص [أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغوتهم] مبالغة في إظهار البراءة منه، قال ابن القيم [كل مكان هذا شأنه وجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له] "زاد المعاد".

## ثانيا/ العبادات القولية :-

- 1- دعاء الشكر والتعظيم : [باب من الشرك النذر لغير الله].
  - 2- دعاء دفع الضر : [باب من الشرك الإستعاذة بغير الله].
  - 3- دعاء جلب النفع : [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره].
- فصل (1) تجريد التوحيد.**
- فصل (2) ذرائع الشرك "الغلو".**
- فصل (3) الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب".**

(دعاء الشكر والتعظيم: النذر)

## 11- [باب من الشرك النذر لغير الله]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديث في إثبات كون النذر عبادة كالذبح والسجود :-

- 1- الآية الأولى: ثناء الله على أهله الموفين به.
- 2- الآية الثانية: قرنه بالصدقة وإثبات الإثابة عليه.
- 3- الحديث: الأمر بالوفاء به [فليطعه] فدل على الوجوب.

### نكتة (1) // إثبات كون النذر عبادة :-

إعلم رحمك الله أن العبادة [إسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة] "رسالة العبودية"، فكل قول أو عمل ظاهر بالجوارح أو باطن بالقلب جاءت النصوص بالأمر به وصرفه لله وترتيب الثواب عليه أو الثناء على أهله فهو عبادة صرفها لغير الله شرك أكبر، ولا فرق في ذلك بين من قصد إتخاذ الشريك ربا أو قصد التقرب لله بإتخاذ الشريك أو قصد غير ذلك قال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

والأصل في هذا الباب أنه "شرك أكبر" إلا أن من صور الإخلال فيه ما هو دون ذلك:

- كمن ينذر لله عند قبر رجل صالح فإن ذلك "شرك أصغر".
  - أو كمن ينذر نذر معصية فإنه "نقص أدب".
- و يلحق بـ"نقص الأدب" النذر المقيد الذي يشارط فيه العبد ربه ولذا كان حكمه الكراهة مع وجوب الوفاء به لمن فعله، وهذه الصورة من النذور هي التي جاءت النصوص بزمها لأن المرء فيها يكون أجيرا لم يحقق كمال العبودية بل علق عبوديته على شيء من أمور الدنيا إن أعطيه رضي وإن لم يعط سخط، ثم إن هذا النذر ليس سببا لتحصيل مطلوبه فإن الله يعطي بمنه وكرمه وهو الغني عن خلقه سبحانه؛ قال عليه الصلاة والسلام في النذر المشروط [إنه لا يأتي بخير، إنما يستخرج به من البخيل] فذكر العلتين لكراهته : كونه ليس (سببا)، وكون صاحبه أجير يشارط ربه وهذا إخلال بكمال (النسك).

ولكن لو نذر العبد نذرا مقيدا كأن يقول "إن شفى الله مريضني نحرته شاه" وهو لا يظن هذا النذر سببا، ولم يقله مشارطا وإنما إظهارا للفرح برحمه الله والتعلق به والإفتقار إليه؛ فهذا لا يبعد جوازه بغير كراهة لإنتفاء العلة الواردة فيه، والله أعلم.

**فائدة:** إنص الإمام مالك رحمه الله على مسائل لها تعلق وصله بهذا النوع من الشرك فمن ذلك:

- نص على أن (من نذر أن يمشي إلى الشام أو إلى مصر أو إلى الربذة أو ما أشبه ذلك مما ليس لله فيه طاعة فليس عليه شيء من ذلك)، وعلل ذلك بقوله (لأنه ليس لله في هذه الأشياء طاعة، وإنما يوفي الله بما له فيه طاعة) "الموطأ" وإنما يكون المشي إلى المواضع التي يرتجى فيها الخير وجاء بها النص .
  - ولهذا قال مالك فيمن نذر المشي إلى غير الحرمين والمسجد الأقصى (من قال: عليّ المشي إلى غير هذه الثلاثة المساجد فليس عليه أن يأتيه مثل قوله "عليّ المشي إلى مسجد البصرة أو إلى مسجد الكوفة فأصلي فيهما أربع ركعات"، قال: فليس عليه أن يأتيهما، وليصل في موضعه حيث هو أربع ركعات) "المدونة: 86/2".
  - ونص على عدم إنعقاد نذر إتيان ما سوى هذه المواضع، حتى وإن كان من مواضع مكة، والعلة في ذلك عنده والله أعلم كما قال (ليس لله في هذه الأشياء طاعة) "المدونة: 379/2" أي: ليس لله في المشي إليها طاعة
  - ومن عنايته وحرصه على سد منافذ الشرك: منع من نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه بداخل المسجد، فلم ير إنعقاد نذره وقال (إن كان أراد القبر فلا يأتيه، وإن أراد المسجد فليأته) ثم ذكر الحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، وبهذا يعلم أن الإمام مالكا رحمه الله لم ير أن هناك موضعا في الأرض له مزية حتى تصرف النذور إليه سوى المساجد الثلاثة كما جاء النص بذلك، وما عداها فلا ينعقد النذر بالمشي إليها حتى وإن كانت من بيوت الله.
  - ولم يقتصر الإمام مالك في بيانه على نذر إتيان المواضع فقد نص على أن من نذر أن ينحر جزورا فعليه أن ينحره في الموضع الذي هو فيه فقال (فقلنا لمالك: فإن نذرها لمساكين بالبصرة أو مصر وكان من غير أهل البصرة وأهل مصر؟ قال مالك: نعم، وإن نذرها لمساكين أهل البصرة وأهل مصر فلينحرها بموضوه وليتصدق بها على مساكين عنده) وعلل ذلك بقوله (وسوق البدن إلى غير مكة ضلال) "المدونة: 91/2"]
- "جهود علماء المالكية في توحيد العبادة: 463-466".

• أمثلة :-

	تنديد	تعلق	إلتفات	غفلة
يقين				
شك				النذر المشروط
بطلان	النذر لغير الله	النذر لله عند قبر رجل صالح	إعتقاد كون النذر سببا	نذر المعصية
	شرك أكبر	شرك أصغر	البدع	نقص الأدب

## (دعاء دفع الضر: الإستعاذة)

## 12- [باب من الشرك الإستعاذة بغير الله]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديث :-

- 1- الآية: في كون الإستعاذة بغير الله تضر ولا تنفع.
- 2- الحديث: أن التعوذ بالله هو الذي به النجاة الدنيوية والأخروية.

### نكتة (1)/ دعاء الجن (المناذير) :-

قال الله تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}، قال الكلبي في كتابه النفيس "الأصنام" [بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن وفيهم نزلت { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }]، وقال تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأُنثَى يَتُوبُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا} قال ابن جرير [كان الرجل إذا أمسى يقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه]، وفي فتاوى اللجنة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله جوابا على سؤال في حكم المناذير -دعاء الجن- [استعاذة الإنسي بالجن في إنزال ضرر بغيره، وإستعاذت في حفظه من شر يخاف من يخاف شره؛ كله شرك ومن كان هذا شأنه فلا صلاة له ولا صيام، ومن عرف منه ذلك لا يصلّى عليه إذا مات ولا يدفن في مقابر المسلمين] "فتاوى رقم 1393/433 هـ"، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا {الآيات.

وداعي الجن مشرك بالله في ربوبيته وألوهيته:

- أما إشراكه في الألوهية فبصرفه الدعاء والخوف والرجاء لهم من دون الله قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } وقال {إِنَّمَا دُلَّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا رَبَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.
- وأما إشراكه في الربوبية فإعتقاده إستقلالهم بالنفع والضر ودوام الحضور وسماع الدعاء وكمال العلم والقدرة: فأما دوام حضورهم فإن الله يقول { هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُفْقَهُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } ويقول { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } ، وأما علمهم فيقول تعالى { فَلَمَّا حَزَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } وقد قص الله قولهم {وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشَرُّ أَرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}، وأما قدرتهم فقال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا ۚ لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} وقال {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وقال في السحر الذي هو أعظم كيد الشيطان {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}؛ {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

ومن عقوبة الله للمشارك أن يعذب بما أشرك به وينقلب طاغوته عدوا له في الدنيا والآخرة قال تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَتُوبُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا} وقال {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ}، فالشرك ليس سببا لرفع العذاب بل هو سبب لزيادته وقد سبق قس باب التمايم قوله عليه الصلاة والسلام [إنزاعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا]، وحصول الإنتفاع أحيانا إنما هو فتنة للمشارك وإستدراج له قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا ۖ إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} قال الإمام محمد في مسائل الباب [الخامسة/ أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر، أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك] .

مسألة/ الوجود في عالم الغيب ليس له حكم الوجود في عالم الشهادة: فلو فرضنا تيقن رجل وجود الجن معه في مكانه لم تحل له مخاطبتهم ما داموا محتجبين عنه، وسؤالهم شينا في حال إحتجابهم من جنس سؤال الغائب فهو شرك أكبر، وهذا أصل عظيم زل فيه كثير من الخلق فظنوا أن إثبات الحياة لرجل في قبره أو كونه سامع يعطيه أحكام الحاضر في عالم الشهادة (3) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله [إن جاز التعلق بالأموات جاز أن يستغيث العبد بالحفظة والملائكة الذين هم لا يفارقونهم بيقين، وهذا بل بقوله مسلم أصلا بل لو فعله أحد لكان شركا بالله، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فإنه بل يجوز في حق أرواح أموات قد فارقت أجسادها] "مجموعة الرسائل: 385/4".

(3) ومن الطرائف في ذلك قول بعض الفقهاء بطهارة بول الجني لحديث [ذلك رجل بال الشيطان في أذنه] قالوا: لم يؤمر بغسله فدل على طهارته؛ فأعطوا أحكام الشهادة لعالم الغيب!.

(دعاء جلب النفع: الإستغاثه)

## 13- [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره]

### بنية الباب :-

ختم المصنف رحمه الله أبواب الدعاء بهذا الباب الجامع وأورد فيه أربعة آيات وحديث:

- 1 - الآية الأولى: أن دعاء غير الله شرك.
  - 2 - الآية الثانية: أن الله هو النافع الضار في الدنيا والآخرة.
  - 3 - الآية الثالثة: أن من دونه لا ينفع ولا يضر.
  - 4 - الآية الرابعة: الأمر العجيب! إقرار المشركين بذلك.
  - 5 - الحديث: سد النبي صلى الله عليه وسلم ذرائع الشرك في هذا الباب إحتياطاً لأمتة.
- قال عليه الصلاة والسلام [الدعاء هو العبادة] رواه أحمد وأحمد والترمذي.

### نكتة (1)/ شرك الدعاء :-

إعلم عصمك الله أن شرك الدعاء هو أول مراتب الشرك الأكبر ولذا كان أشد أنواع الشرك إنتشارا وأعظمها فتنة، ومن هنا تكرر ذكره في كتاب الله مبالغة في التحذير منه :-

- فتارة ينص على كونه عبادة كقوله { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }.
- وأخرى يسميه ديناً {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.
- وتارة يسمي المدعون آلهة للداعي { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَنْبِيهٌ }.
- ثم يصرح ببطلانها {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.
- ثم يكونها شركاً {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}.
- ثم ينص على تكفير فاعله { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا جِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّي إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن [فإذا عرفت بصحيح المعقول وصريح المنقول أن الدعاء عبادة، وأن مدلوله السؤال والطلب؛ فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كأننا من كان] "الرد على ابن جرجيس: 34"، قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام {وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيُخَبِّطَنَّ عَمَّا كَفَرْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}، قال الإمام محمد في رسالة "ثماني الحالات" [الثامنة/ إن ظن سلامته من ذلك كله، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين؟ أو يقول: كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك!].

والدعاء: هو السؤال على جهة التآله بأن يسأل غائباً أو يسأل حاضراً فيما هو من خصائص الله، قال ابن تيمية [فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله أو يقول يا سيدي فلا أغثنى أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل] "الفتاوى: 395/3".

ولشدة خطر هذا الباب وعموم البلوى بهذا الشرك بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في الإحتياط منه وسد ذرائعه كما في حديث الباب، وكان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على قطع حبال التعلق بغير الله: فيقول [إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف] الترمذي، وكان عليه الصلاة والسلام يبايع بعض أصحابه على أن ليسألو الناس شيئاً فكانوا إذا سقط سوط أحدهم لا يقول لأحد من الناس (أعطني سوطي) "رواه مسلم"، وكان يقول [من سألنا أعطينا، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا] رواه أحمد؛ كل هذا تعويداً لهم على التوحيد وترغيباً لهم في كماله وقطعاً لوسائل الشرك وأسباب التعلق بغير الله، [وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ويقولون: أنبياء نحن؟!] "الحكم الجديدة لابن رجب: 46".

**فائدة في أدب التوحيد:** روى الإمام مالك في موطنه عن عبدالله بن دينار قال [(رأني عبدالله بن عمر وأنا أدعو وأشير بإصبعين إصبع من كل يد فنهاني) قال ابن عبد البر (هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بسعد وهو يدعو في صلاته ويشير بإصبعيه جميعاً، فنهاه عن ذلك وقال "أَجِدْ أَجِدْ")، وهو ما أوضحه الباجي عند شرحه لهذا الأثر بقوله (إنما نهاه أن يشير بإصبعين لأن الدعاء إنما يجب أن يكون إما باليدين وبسطهما على معنى التضرع والرغبة، وإما بالإشارة بالواحدة على معنى التوحيد) ونقله الزرقاني مقراً له، وقد ذكر ابن العربي (أن معنى الإشارة بالإصبع في الصلاة والحكمة فيه: أن يستعمل في التوحيد "قلبه" إعتقاداً و "لسانه" قولاً و "يده" عملاً حتى يكون الإستيفاء على العموم)] "جهود المالكية في توحيد العبادة: 424".

**مسألة/ التفصيل في مراتب شرك الدعاء:** نبه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على "إقتضاء الصراط المستقيم" إلى الفرق الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بين (الإستغاثة) التي هي شرك أكبر و (طلب الدعاء) الذي هو شرك أصغر، وإليك التفصيل في المسألة :-

- **الحال الأولى/ الإستغاثة بالميت:** وضابطها أن الطلب فيها يكون من الميت نفسه أن يقضي الحوائج بحيث لو استبدل إسم المدعو بإسم الله لإستقامت العبارة نحو (يا فلان اشف مريضتي) ؛ فهذا شرك أكبر.
- **الحال الثانية/ طلب الدعاء من الميت في حال البعد عن قبره:** وهذا أيضاً شرك أكبر لأنه دعاء غائب وصاحبه إنما يفعل لأنه يعتقد في الميت صفة العلم الكامل والسمع اللتان هما من صفات الله وهذا شرك إذا فعل مع الحي فكيف بالميت.
- **الحال الثالثة/ إعتقاد أنه لا يمكن دعاء الله إلا باتخاذ الوسائط:** وهذا هو عين شرك أهل الجاهلية {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ؛ فهو شرك أكبر.
- **الحال الرابعة/ سؤال الميت "الشفاعة":** وهذا أيضاً من جنس شرك مشركي الجاهلية {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}؛ فهو شرك أكبر لأن الشفاعة لله جميعاً فهي من

خصائصه فلا تطلب إلا منه جل في علاه ثم هو جل في علاه يأذن لمن شاء أن يشفع لمن رضي الله عنه تكملة للشافع ورحمة بالمشفوع له فالشافع والمشفوع لا يملكان من الشفاعة شيئاً.

تنبيه: إنتفاع المشفوع له بالشفاعة يكون بمقدار رضي الله عنه، ولذا كان إنتفاع الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه على درجات فمنهم من ينال فضلها كاملاً ومنهم من ينقص له منه بحسب مقدار إستحقاقه لذلك (كما هي قاعدة الثواب في أبواب الشرع كلها)، وفي الحديث [أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ (قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ] البخاري، فبحسب تحقيق العبد للتوحيد وتكميله له يكون نصيبه من فضل الشفاعة وإنتفاعه بها، ومن هنا جاء في حديث العباس رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتُ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيُغْضِبُكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ [نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ] متفق عليه، وعند مسلم [أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ] فهذا هو مقدار إنتفاعه بالشفاعة .. وحسبنا الله ونعم الوكيل!.

- **الحال الخامسة/ طلب "الدعاء" من الميت عند قبره:** فهو كما يطلب الدعاء من الحي غير أنه طلب من الميت بشبهة أن الميت يسمع من يزوره، وهذا شرك أصغر من وجهين: أنه بدعة، وأنه ذريعة للشرك؛ وأما الشبهة التي يحتج بها من يفعل ذلك وهي أثر "مالك الدار" الذي أخرجه ابن أبي شيبة [أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأُتِيَ الرجل في المنام فقيل له: أنت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون] فهذا الأثر الله اعلم بصحته فقد أعله أهل الرواية ولو صح لم يكن فيه حجة كما قرر الشيخ ابن باز رحمه الله [صحته ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجذب إلى الاستسقاء بالعباس -أي طلب الدعاء منه-، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله ذلك الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك] "التعليق على فتح الباري 4459/2"، قلت: ولم يفت به أو يفعله أحد من الأئمة في القرون الثلاثة الفاضلة فنبت أنه بدعة وفاعلها يؤخذ على يديه -وإن كان لا يكفر- حماية لجناب التوحيد .

تنبيه: عد بعضهم طلب الدعاء من الميت سوى النبي صلى الله عليه وسلم أكبر، وحجتهم في ذلك أنه إنما صح سماع النبي ورده سلام من زاره وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام وهو الذي أنزل طلب الدعاء منه عن رتبة الشرك الأكبر إلى الأصغر لكون هذا الفعل بدعة وذريعة ومجازة للحد الوارد في النص والذي عليه عمل الصحابة فهو غلو، وأما من سوى النبي عليه الصلاة والسلام فلم يثبت شيء من ذلك في حقه فدعاه من جنس دعاء الغائب فهو شرك أكبر، والله أعلم وبالله المعاذ.

## فصل (1)/ تجريد التوحيد :-

- 1- قطع التعلق بالإنس (الصالحين) .
- 2- قطع التعلق بغير الإنس (الملائكة) .
- 3- نفي النفع الأخروي عن غير الله (الشفاعة) .
- 4- نفي انفع الدنيوي عن غير الله (الهداية).

**قاعدة في التجريد:** إعلم رحمك الله أن الله أثنى على تجريد إبراهيم للتوحيد فقال {إذ جاء ربه بقلب سليم}، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم قلب الموحّد فقال [قلب أجرد فيه سراج يزهر] رواه أحمد، فتجريح القلب هو شق كلمة التوحيد الأول (لا إله) والسراج المزهر هو شقها الثاني (إلا الله)، فشقها الأول يجرده وينقيه وشقها الثاني يشرق بشمس التوحيد فيه وكلما كان القلب أجرد كان نور التوحيد فيه أشد وأشرق، قال الإمام محمد رحمه الله [دين النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد: وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها؟ قيل: منهم من يقولها ويحسب أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله وأشبه ذلك، ومنهم من لا يفهم معناها، ومنهم من لا يعمل بمقتضاها، ومنهم من لا يعقل عقائدها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعادها وأهلها من وجه، وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها؛ فبما سبحانه الله العظيم أ يكون طائفتان مختلفتان في دين واحد وكلهم على الحق؟ كلا والله {فهل بعد الحق إلا الضلال}]"الرسائل الشخصية: 182".

والمنفيات التي تنفيها كلمة للتوحيد (لا إله) سبعة:-

- 1- **الآلهة:** والإله كل ما صرف له شيء من العبادات القلبية أو القولية أو العملية قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْتَهْزِئُونَ} أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}؛ والناس مع التجرد من الآلهة على مراتب: فأبعدهم عن تجريد التوحيد أهل الشرك الأكبر الذين صرفوا عبادتهم لغير الله من دعاء وذبح وغير ذلك، وأدناهم منزلة أصحاب الشرك الخفي "الرياء".
- 2- **الأرباب:** والرب كل ما دعي له اسم من أسماء الله أو خصيصة من خصائصه جل في علاه قال تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا}؛ وللناس في ذلك مراتب: فأشدّها الشرك الأكبر كإدعاء علم الغيب لغير الله أو نحو ذلك مما هو من خصائص الله، وأدناه شرك الألفاظ كالتمسي بـ"ملك الملوك" ونحوها من ألفاظ الشرك الأصغر.
- 3- **الشفعاء:** والشفيع كل من جعل واسطة بين العبد وربّه قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}؛ وأشدّه الشرك الأكبر الذي يصرف صاحبه العبادة للشافع، وأدناه البدع الشركية التي هي دون الشرك الأكبر كال تبرك ودعاء الله عند قبر الرجل الصالح ونحوها.
- 4- **الانداد:** والند كل من جعل بمنزلة الله فعور قول الله بقوله ورد على الله أمره لأجله قال تعالى {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}؛ وأشدّه الشرك الأكبر وهو رد حكم الله وتكذيب خبر رسوله لرأي أو هوى أو غير ذلك، وأدناه التسوية اللفظية كقولهم "ما شاء الله وشئت".
- 5- **الأولياء:** والولاية هي الحب والنصرة وإعتماد القلب، فالولي ما زاحم الله في قلب العبد حبا أو إستنصارا وتوكلا قال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؛ وأشدّه الشرك الأكبر كعبادة الصالحين وتولي المشركين في الدين ونحو ذلك، وأدناه التعلق بالأسباب ونسبة النعم لفظا لغير الله كقولهم "لولا فلان".
- 6- **الطاغوت:** وهو كل ما تجاوز به العبد حده فرفعه فوق منزلته بعبادة أو إتباع أو طاعة قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}؛ وأشدّه تعظيم الطاغوت أشد من تعظيم الله وتقدير قوله على سنة رسول الله، وأدناه كل شيء يرفعه العبد فوق منزلته الحقيقية فيما دون الشرك كالمبالغة في المدح وإشتغال القلب بشيء حتى يلهي عن ذكر الله ونحو ذلك.
- 7- **الشیطان:** وهو المعبود الحقيقي لجميع المشركين لأنه الذي زين لهم الشرك فإتبعوه وصور لهم آلهتهم فعبدوها قال تعالى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي} هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}؛ وقال إبليس في خطبته بأهل النار {يَا كُفْرَتْ بَمَا أُنْزِلُكُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ويجمع التجرد من ذلك كله قوله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} الآيات.



(التجريد: قطع التعلق بالإنس)

## 14- [باب قول الله تعالى {أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ}]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وثلاثة أحاديث تقطع من القلب كل تعلق بالصالحين:-

- 1 - الآية: وهي الأصل الجامع في عجز وإفتقار كل من يتعلق به المشركون من الأولياء والصالحين.
- 2 - الحديث الأول: في كون سيد الأولياء وخاتم المرسلين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.
- 3 - الحديث الثاني: في كونه لا يضر غيره عليه الصلاة والسلام.
- 4 - الحديث الثالث: في كونه لا ينفع غيره عليه الصلاة والسلام.

(التجريد: قطع التعلق بغير الإنس)

## 15- [باب قول الله تعالى {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديثين يقطعان كل تعلق في القلب بشيء من خلق الله من الملائكة والجن :-

- 1 - الحديث الأول: في عجز الملائكة والجن وكمال قدرة الله عليهم.
- 2 - الحديث الثاني: في عجز وإفتقار سيد الملائكة جبريل عليه السلام.

(التجريد: نفي النفع الأخروي عن غير الله "الشفاعة")

## 16- [باب الشفاعة]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ست آيات ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية:-

- 1 - أن أهل الإيمان ليس لهم من دون الله شفيع.
- 2 - أن الشفاعة كلها لله وحده.
- 3 - أن أهل الشرك لا تنفعهم الشفاعة عند الله.
- 4 - أنه لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه.
- 5 - أن من أذن الله له لا يشفع إلا لمن رضي الله عنه - أهل التوحيد.
- 6 - أن الشفاعة في حقيقتها: فضل الله على الشافع والمشفوع له لا ملك لأحد فيها ولا تصرف.
- 7 - النقل: وهو تفصيل وشرح للمعاني السابقة لعظم الفتنة في هذا الباب.

(التجريد: نفي النفع الدنيوي عن غير الله "الهداية")

## 17- [باب قول الله تعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديثاً واحداً بين فيه أن سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه لا يملك نفعا لأحب الناس إليه وأقربهم منه نسباً فكيف بغيرهم.

## فصل (2) / ذرائع الشرك [الغلو] :-

- 1- الغلو في الأشخاص .
- 2- الغلو في الأماكن .
- 3- كون الغلو أعظم أسباب الشرك .
- 4- احتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في ذلك.
- 5- هلاك طوائف من هذه الأمة به.

**قاعدة في الطاغوت:** إعلم عصمك الله أن "الطاغوت" مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

فكل شيء يغلو فيه المرء فيجاوز به حده فقد صيره طاغوتا، والغلو مراتب أدناها مجاوزة الحد في اللفظ نحو قولهم "ما شاء الله وشئت"، وأعلاه [أن تجعل لله ندا وهو خلقك] البخاري، قال الإمام محمد [وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)، وَالطَّاغُوتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خُمُسَةُ:

1 - إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.

2 - وَمَنْ عُيِدَ وَهُوَ رَاضٍ.

3 - وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.

4 - وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.

5 - وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لا اله إلا الله) "ثلاثة الأصول".

(ذرائع الشرك: الغلو في الأشخاص)

## 18- [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وأربعة أحاديث :

- 1- الآية: في كون الغلو في الصالحين هو سبب ضلال أهل الكتاب.
- 2- الحديث الأول: في كونه أيضا كان سبب ضلال المشركين.
- 3- الحديث الثاني: تحذير النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك.
- 4- الحديث الثالث: إخباره أن الغلو كان سبب هلاك الأمم السابقة.
- 5- الحديث الرابع: دعاءه عليه الصلاة والسلام على أهل الغلو.

### نكتة (1) // الغلو في الصالحين :-

إعلم بأن الغلو في الصالحين هو مجاوزة الحد الشرعي في حبهم وتعظيمهم وإتباعهم فيما لم يأذن به الله، والغلو فيهم مراتب أربعة:-

- 1 - الشرك الأكبر: كصرف شيء من العبادة لهم كالدعاء، أو نسبة شيء من خصائص الله إليهم كعلم الغيب والنفع والضرر والتشريع ونحوه.
- 2 - الشرك الأصغر: كالحلف بهم تعظيما لهم قال إسحاق بن منصور [قلت لأحمد بن حنبل: تكره أن يحلف الرجل بعتق أو طلاق أو شيء؟ قال (سبحان الله تعالى!)، من لا يكره ذلك؟، لا يُحلف إلا بالله عز وجل)] "مسائل الكوسج: 1777"، قال عليه الصلاة والسلام [من حلف بشيء دون الله فقد أشرك] "رواه أحمد".
- 3 - البدعة: كالتيبرك بذواتهم -أبدانهم وثيابهم ونحوها- وفي مسائل الخلال عن الطيالسي قال [مسحت يدي على أحمد أحمد بن حنبل ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبا شديدا وجعل ينفذ يده ويقول (عمن أخذتم هذا؟!)] وأنكره إنكارا شديدا].
- 4 - نقص الأدب: كالمبالغة في المدح وفي الحديث [إحتوا في وجوه "المداحين" التراب] ابن حبان، بصيغة المبالغة.

**تنبيه:** "الصالحون" هنا ليس المراد بهم الصالحون عند الله حقيقة بل من يعظمه الناس ويتأسون به ويرفعونه على غيره من الناس لظنهم فيه خيرا، فكل من عورض به أمر الله وتجاوز فيه حدود الشرع فهو داخل في (الغلو في الصالحين) وإن كان في نفسه شر الخلق، لأن الناس إنما يعظمونه لظنهم فيه الخيريه في دينه أو عقله أو نسبه أو غير ذلك.

(ذرائع الشرك: الغلو في الأماكن)

## 19- [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب أربعة أحاديث :

- 1 - الأول: أن الغلو في الأمكنة سنة أهل الكتاب.
- 2 - الثاني: لعنهم لذلك.
- 3 - الثالث: النهي عن التشبه بهم في ذلك.
- 4 - الإخبار أن من فعله فهو من شرار الخلق.

(ذرائع الشرك: بيان أن الغلو أعظم أسباب الشرك)

## 20- [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة أحاديث:

- 1 - الأول: بيان كون الغلو هو سبب شرك أهل الكتاب.
- 2 - الثاني: بيان كونه كذلك سبب شرك أهل الإوثان.
- 3 - الثالث: النهي عن البناء على القبور وتزيينها سدا لذريعة الشرك.

وقد كره الإمام مالك أن يقول الرجل (زرت قبر النبي) مخافة أن يفضي ذلك إلى الغلو في المكان وإنما يقول "زرت النبي"، ولأنه من نقص الأدب المخل بكمال التوحيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم [اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد] اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد] كما وجهه القاضي عياض رحمه الله، وقال مالك في آداب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم [لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، بل يسلم ويمضي] وقال [ويدنو

ويسلم لا يمس القبر بيده] "الشفاء" ، قال الطرطوشي [ولا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يمس، وكذلك المنبر] "الحوادث والبدع" ونقل عن قتادة في قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى إخلولق وإنماح] فإنظر إلى ما أفسدت البدع!.

بل كره الإمام مالك التردد على قبر النبي صلى الله عليه وسلم للسلام عليه وعده بدعة لأنه من إتخاذ القبر عيداً ولعدم فعل الصحابة له، وأنظر مزيد تفصيل لهذا الباب في الكتاب النفيس [حجرة النبي صلى الله عليه وسلم تاريخها وأحكامها] للشيخ عبدالرحمن الشثري.

**لطيفة:** قال يموت بن المزرع [حدثني من رأى قبراً بالشام عليه مكتوب (لا يغترن أحد بالدنيا، فإن أبي كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء)، وبحذائه قبر عليه مكتوب (كذب الفاعل الفاعل، لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام، وإنما هو حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر)، قال: فما رأيت قبلهما قبرين يتشاثمان].

(ذرائع الشرك: احتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في ذلك)

## 21- [باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وحديثين:

- 1 - الآية: في كون شدته عليه الصلاة والسلام في ذلك من رحمته بأمته وحرصه على دينهم.
- 2 - الحديثان: في النهي عن كثرة زيارة قبره عليه الصلاة والسلام ونهيه عن التعبد لله عنده؛ وبيانه للبديل الشرعي وهو الصلاة عليه.

**فائدة:** قالت الدكتورة منيرة المقوشي [أغلب إنحرافات الفرق ومخالفاتهم المتعلقة بالآثار المرئية تعود إلى تفريطهم بالآثار النبوية الحديثية المروية الأمر الذي هو أحد الأسباب الأساسية الناتجة عن إنحرافهم، ومن المعلوم أن القلوب إذا إشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن] "إحياء الآثار".

(ذرائع الشرك: هلاك طوائف من هذه الأمة بالغلو)

## 22- [باب ما جاء في أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة آيات وحديثين:

- 1 - الآية الأولى: في الإخبار بوقوع أهل الكتب قبلنا في الشرك الأكبر.

- 2- الآية الثانية: الإخبار بوقوعه في اليهود خاصة.
- 3- الآية الثالثة: الإخبار بوقوعه في النصارى خاصة.
- 4- الحديث الأول: في إتباع هذه الأمة سنن من كان قبلها.
- 5- الحديث الثاني: الإخبار بوقوع الشرك فيها مع بقاء إنتساب أهله للإسلام كما فعل اليهود والنصارى.

## فصل (3) / الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب" (الروحانيات) :-

- 1- السحر الشيطاني .
- 2- العلوم الحدسية .
- 3- العلوم الحدسية الباطلة (الكهانة ونحوها) .
- 4- العلوم الحدسية المحرمة (النشرة) .
- 5- التعلق بالأسباب الحدسية -الصحيحة أو الباطلة- (الفأل والتطير) .
- 6- أحوال الناس مع الأسباب الحدسية (التنجيم).
- 7- شرك الأسباب الحدسية.

**قاعدة في العلوم الروحية:** إعلم رحمك الله أن العلوم ثلاثة أجناس: علوم سمعية خبرية، وعلوم حسية تجريبية، وعلوم روحية حدسية؛ قال تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} :

- 1- العلوم السمعية: التي ميزانها النقل وما سواه تبع له لا يلغى بالكلية ولا يجعل هو الأصل فيقدم على النقل الذي هو أصل الباب.
- 2- العلوم الحسية: وميزانها المشاهدة والتجربة وما سواه تبع له.
- 3- العلوم الحدسية: وميزانها الذوق والشعور وما سوى ذلك إنما يدخل تبعا لا أصلا.

والعلوم الروحية الحدسية منها المشروع الممدوح ومنها الممنوع المذموم، وهذا الجنس من العلوم يكون مستكنا في النفس مطبوع عليه المرء فإن إرتاضه قوي وظهر وإن تركه بقي خاملا، ومن سنة الله في خلقه أن هذا الجنس من العلوم يضعف في الناس مع تقدم الزمان ويقوى فيهم العلم المادي الحسي ومن هنا جاء في الحديث أن الرؤيا في آخر الزمان تكون كفلق الصبح لا يُحتاج معها إلى تأويل لضعف الناس عن هذا العلم الروحي، ومثله الشعر كما هو مشاهد يضعف في كل زمان عن الذي قبله ويتحول من كونه سليقة وملكة إلى صناعة محضة أي أن جانبه الروحي يذهب ويبقى منه جانبه المادي الصناعي، وكذا الطب يضعف فيه الجانب الروحي والطبيعي ويقوى فيه الجانب الصناعي ولذا نرى أثر الرقية في زماننا أضعف مما كانت عليه فيمن سبق لضعف الناس عنها.

و"السحر" الذي هو مقصود هذه الأبواب بالذات كسائر العلوم الروحية هو أيضا في ضعف ونزول ولا يكاد يبقى منه سوى جزءه الشيطاني -الإستعانة بالشياطين- دون غيره من أنواع السحر الأخرى قال ابن حزم [ومن هذا الباب كانت الطلسمات، وليست إحالة ولا قلب عين ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد والبرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوءه إذا كانت مدبرتها مكشوفة للقمر.

ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها حرارة ولا يقع فيها برد، و "كسرقسطة" التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخلها كرها، وغير ذلك كثيرا جدا لا ينكره إلا معاند.

وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وإنقطع من العالم ولم يبق إلا آثار صناعتهم فقط، ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقى وأنه كان يُؤلف بين الطبائع ويُنافر به أيضا بينهما] "الفصل في الملل والنحل".

## 23- [باب ما جاء في السحر]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آيتين وحديثين وآثار:

- 1 - الآية الأولى: في كونه كفر محبط للعمل.
- 2 - الآية الثانية: في كونه "الجبت" وأهله "طواغيت".
- 3 - الحديث الأول: في كونه من السبع الموبقات.
- 4 - الحديث الثاني: في كون حده القتل.
- 5 - الآثار: في قتل الصحابة للسحرة.

### نكتة (1)/ تاريخ السحر :-

قال الله تعالى {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

**والسحر:** خرق لنظام الكون، ولذا كان من أعظم الفساد لإبطاله سنة "الأسباب" التي ركب الله الدنيا عليها، ومن هنا سمي هذا العلم "سحرا" لأن السحر في اللغة هو ما خفي سببه.

وهو مزيج من علوم شتى تتظاهر جميعها لنقض نواميس الكون،، وكان إبتدائه في عالم الجن ثم عنهم أخذه الإنس، فللجن سحرة يسمون "الغيلان" كما عند ابن أبي شيبة [ذكرت الغيلان عند عمر فقال: إن أحدا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فادنوا]، وعلم السحر علم قديم مر بمراحل تطور فيها :

### المرحلة الأولى :-

وهي أصل السحر، وهي المفاتيح التي أعطيت للملائكة يعملون فيها بأمر الله ، فلما إسترقت الجن السمع إطلعت على بعضها وفي المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنه [إن ملكين من الملائكة هاروت وماروت سألا الله تعالى أن يهبطا إلى الأرض فأهبطا إلى الأرض ، فكانا يقضيان بين الناس فإذا أمسيا تكلمتا بكلمات وعرجا بها إلى السماء ، فقيض لهما بامرأة من أحسن الناس وألقيت عليهما الشهوة فجعلا يؤخرانها وألقيت في أنفسهما ، فلم يزا لا يفعلان حتى وعدتهما ميعادا فأتتهما للميعاد ، فقالت : علماني الكلمة التي تعرجان بها ، فعلماهما الكلمة ، فتكلمت بها فعرجت بها إلى السماء فمسخت ، فجعلت كما ترون ، فلما أمسيا تكلمتا بالكلمة التي كانا يعرجان بها إلى السماء ، فلم يعرجا فبعث إليهما إن شئتما فعذاب الآخرة ، وإن شئتما فعذاب الدنيا إلى أن تقوم الساعة على أن تلتقيان الله تعالى ، فإن شاء عذبكما وإن شاء رحمكما ، فنظر أحدهما إلى صاحبه ، فقال أحدهما لصاحبه : بل نختار عذاب الدنيا ألف ضعف فهما يعذبان إلى أن تقوم الساعة] فمثل هذه المفاتيح كانت أول سحر الجن.



ثم إنهم زادوا عليها أمورا من الشرك ودعاء غير الله قال ابن عباس رضي الله عنه [أن الشياطين كانوا يسترقون السمع وكان أحدهم يجيئ **بكلمة حق** قد سمعها الناس فيكذب معها سبعين كذبة فيشربها قلوب الناس فاطلع الله على ذلك سليمان بن داود فاخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال لا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لاحد مثل كنزه الممتنع قالوا نعم فأخرجوه فإذا هو سحر فتناستها الأمم فبقاياها مما يتحدث به أهل العراق فانزل الله عذر سليمان فقال {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر} "المستدرک".

### المرحلة الثانية :-

ثم إن سليمان عليه السلام كان يكتب علوما آتاه الله إياها وأسرارا إختصه بها من نواميس الكون التي كان يدبر بها ملكه وهي مما لا ينبغي لأحد من بعده، ولذا كان عليه السلام يدفن تلك العلوم تحت كرسيه، ثم إن الجن إستخرجتها بعد موته وزادت عليها كذبا كثيرا قال ابن عباس رضي الله عنه [كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الإسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها! ، فكفره جهال الناس وسبوه ووقف علمائهم، فلم يزل جهالهم يسبون حتى أنزل الله على محمد {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان} الآية] النسائي.

ومن أمثله هذه العلوم التي كان سليمان يكتبها: "الرقى" قال ابن مجلز [أخذ سليمان من كل دابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلي عنه، فزادوا الناس السجع والسحر وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان!، فقال الله {وما كفر سليمان}] ابن جرير وابن المنذر، ومنها أيضا بعض "الأدوية" من أعشاب وزيت ونحوها من خصائص النباتات ومنافعها ففي سنن سعيد بن منصور [كان سليمان عليه السلام إذا نبتت الشجرة قال: لأي داء أنت؟، فتقول: لكذا وكذا، فلم يلبث أن توفي فكتب الشياطين كتابا فجعلوه في مصلى سليمان فقالوا: نحن ندلكم على ما كان سليمان يداوي به! ، فإنطلقوا فإستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقى فأنزل الله {واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان}]، ومن ذلك أيضا "الكلمات" التي أحضر بها عرش بلقيس من اليمن قال مجاهد [تكلم ذلك العالم بكلام فدخل العرش تحت الأرض حتى يخرج إليهم] ابن جرير.

### المرحلة الثالثة :-

ثم إن سحرة الجن زادوا على ذلك كله إعانتهم لأوليائهم من سحرة الإنس بتسخير الشياطين لهم في مقابل صرف العبادة إليهم من دون الله، وهذا القسم من علوم السحر هو أضعف درجاته وهو أكثرها إنتشارا قال تعالى {إن كيد الشيطان كان ضعيفا}.

أما الأنواع السابقة للسحر فهي مما يختص بمعرفته كبار السحرة وأشدهم كفرا بالله وولاية للشيطان وقد جاء في صفة المسيح الدجال [وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت] رواه أبو داود، وفي الحديث المرأة لتي تعلمت سحر هاروت

وماروت قالت [فبذرت وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحلقي! فأحلقنت، ثم قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أيبسي! فأيبست، ثم قلت: أخبزي! فأخبزت] رواه ابن جرير والحاكم.

**الخلاصة:** علم السحر مزيج من الأسرار الكونية والأعمال الشيطانية، قال الإمام محمد في فوائده على آية السحر [الثامنة والعشرون/ أن السحر نوعان] "مجموع المؤلفات: 23/5؛" فما كان منه من المفاتيح الغيبية فإن الله حجبته عن بني آدم وحرمه عليهم لأن علمهم به يضرهم ولا ينفعهم ويفسد نظام الكون قال تعالى {ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم}، وما كان منه من الأعمال الشيطانية والتعاويذ الشركية فأمره أظهر، وكلاهما كفر وشرك قال ابن خلدون [ولما اختلف الفقهاء في قتل الساحر اختلفوا: هل هو لكفره السابق على فعله -تقريبه للشياطين- أم لإفساده في الأكوان؟ والصواب أن الكل حاصل منه] "المقدمة"، فكل من المفاتيح الغيبية والأعمال الشيطانية كفر إما من جهة "الأسباب" أو من جهة "العبادة" قال ابن خلدون [وأما الشريعة فلم تفرق بين بين السحر والطلاسم والتعوذة وجعلته كله بابا واحدا محظورا، لأن الشرع إنما أباح لنا ما يهمننا في ديننا وما فيه صلاح آخرتنا وصلاح دنيانا، وأما السحر فإنه ضرر والطلاسم والنجامة، وأعظم ضرر لها إفسادها للعقائد الإيمانية بردها الأمور إلى غير الله، فيكون هذا الفعل محضورا و (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)؛ فجعلت الشريعة باب السحر والطلاسم والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصته بالتحريم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] "المقدمة".

## نكتة (2) // حقيقة الأعمال السحرية :-

إعلم أعاذك الله أن أصل السحر وحقيقته قوة نفسية خبيثة متى مدت بقوى علوم السحر وقوى الشياطين أثرت في المسحور، ومن هنا كانت الرقية التي تقوم له في أصلها قوة نفسية طيبة متى مدت بقوى الكلام الطيب وقوة الإيمان كانت أقوى على دفعه وإبطاله.

فكل من السحر والرقية في أصله خصائص نفسية تقوى بالعلم والرياضة [وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص، وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في صنف آخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها:

- فنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للإنسلاخ من الروحانية البشرية إلى الروحانية الملائكية حتى يصير ملكا في تلك اللحظة التي إنسلخ فيها، وهكا هو معنى الوحي كما مر، وهي في تلك الحالة محصلة للمعرفة الربانية ومخاطبة للملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى وما يتبع ذلك من تأثير الأكوان.
- ونفس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان وإستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية.

فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الإطلاع على المغيبات بقوى شيطانية؛ وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر] "المقدمة"، قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَبَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} فسماء وحيا لتشابه عملية الكشف عن المغيبات مع النبوة -كرم الله أهلها- وإن كانت النبوة نورانية ربانية والسحر والكهانة نيرانية شيطانية .

وقد قال عليه الصلاة والسلام في ذكر مراتب الوحي الإلهي [أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَٰصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ، وَأَحْيَانًا مَلَكٌ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ فَأَعْيِي مَا يَقُولُ] متفق عليه، ففي الحالة الأولى تُشاكل نفس النبي صلى الله عليه وسلم نفوس الملائكة ولذا قال (فيفصم عني) أي أنه يكون فيه نوع إلتحام بسبب شدة المشاكلة والمقاربة، وفي الثانية تُشاكل الملائكة نفوس البشر.

وفي الوحي الشيطاني ينسلخ الساحر من حاله البشري إلى حالة شيطانية يتمكن بها من التأثير في المسحور بقوة نيته ونفته قبل حتى أن يستعين بالجن بل الجن هي التي تستعين بقوة نفسه الخبيثة وتتقوى بها على المسحور وهو يتقوى بهم قال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ۚ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}، وهذا النوع من السحر هو أشد أنواع السحر ضررا على المسحور وهو الذي يسمى بـ(السحر الأسود) وهو من جنس الإصابة بالعين إلا أنه أشد منه قال ابن خلدون [رأينا بالعين من يصور صورة الشخص المسحور بخواص مقابلة لما نواه وحاوله، ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام شخص المسحور عينا، ثم ينفث من ريقه بعد إجتماعه في فمه بتكرير ومخارج حروف معينة من كلام السوء، ويعقد على ذلك المعنى الذي أعده تفاءلا بالعقد والالزام، وأخذ العهد على من أشركه من الجن، وإستشعار العزيمة بالعزم؛ ولتلك البنية والأسماء روح خبيثة تخرج مع النفث حتى يقع ما يريد إيقاعه بالمسحور] ثم ذكر أخبارا عجيبة للقوم، ومن هنا كان حد الساحر القتل لأنه نفس خبيثة.

والقصد أن السحر في أصله خصائص نفسية يُجبل عليها الإنسان فإن أمدتها بالشر قويت وتشيطنت، حتى إذا اكتمل فجوره تحكم بها وملك أمرها كالعين يمدّها العائن بالحسد حتى يملك أمرها ولو دافها بالتركيزية إنطفات عنه، وفي خبر هاروت وماروت مع المرأة أنهما أمراها أن تتبول في البئر فلما خرج منها الإيمان تشيطنت نفسها فقدرت على السحر.

والحاصل أن السحر أنواع ثلاثة :-

- 1- سحر بالنية والشيطنة النفسية.
- 2- سحر بالطلاسم والأسرار الكونية.
- 3- الإعانة الشيطانية والحيل والشعوذة.

فمتى إجتمع للساحر : الإستعداد الشيطاني، والعلم الصناعي -الطلاسم-، والإتصال الشيطاني؛ حصل التأثير، ومراتب السحرة إنما تتفاوت لتفاوتهم في هذه الأمور الثلاثة.

**تنبيه:** إعلم أن السحر يأتي على هيات كثيرة قد يغر بعضها الجاهل "دينية" و "فلسفية" و "علمية" و "نفسية" حتى صار اليوم "لعب" بأيدي الناس قال الذهبي [فترى خلقا كثيرا من

الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراما فقط وما يشعرون أنه كفر: فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو السحر، وفي محبة الرجل للمرأة وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شك وضلال] "الكبائر"، وقد أدخل أهل السحر إلى هذه الصناعة علوما كثيرة خارجة عنها تزيينا لها في أعين الناس أو ترهيبا لهم قال الشيخ حمود التويجري [السيمياء تشتمل على أنواع من السحر: منها النواميس، والمخاريق، والتدخينات، والتعافين، والمراقيد، والإخفاءات، والطلسمات، والنيرنجات وغير ذلك، وقد ذكر بعضهم أنها تبلغ ثلاثين بابا كلها من السحر] "غربة الإسلام: 606" ثم فصلها، والقصد أنهم أدخلوا إلى صناعتهم أجناسا مختلفة من العلوم والحيل التي تتفاوت أحكامها كعلوم الطب والنباتات والفلسفة والخرافات والشعر والسجع والنميمة وغير ذلك مما يعينهم على التحكم في الناس والتسلط على ما في أيديهم، وإستعمال أهل السحر لهذه العلوم وممارستهم لهذه الأفعال لا يلزم منه أن تأخذ حكم السحر الشيطاني وإنما ينظر إلى كل واحد منها إستقلالا.

**لطيفة:** من عظيم فقه الشيخ التويجري رحمه الله أنه ألحق بعلوم السحر علم (صناعة السينما) لأن مبناها التخيل وتأثيرها كالسحر أو أشد [فمن ذلك أنهم يمثلون فيها ساحة القتال حين يلتقي الجمعان ويتقابل الصفان فيتبارز الشجعان ويتصاول الأقران ويصيح بعضهم ببعض ثم يختلطون فيتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح وأنواع الأسلحة ويجندل بعضهم بعضا ما بين قتيل وما بين جريح متضمخ بدمائه يئن مما به، ويمثلون فيها أيضا من التخيلات المكذوبة ما يدهش الناظرين كالرجل يقتلع النخلة العظيمة فيحملها على عاتقه والرجل يحمل الصخرة العظيمة التي لا يطيق حملها الجماعة من الناس، إلى غير ذلك من المخاريق والتمويه والشعوذة الهائلة التي لم يصل إليها سحرة فرعون ولا غيرهم، ومن ذلك أنهم يمثلون فيها السحاب والبرق والرعد والصواعق ونزول المطر من السماء وغير ذلك من الأشياء التي تعجز عنها القدرات البشرية؛ وبالجملة فينبغي عد "السينما" من أعظم أنواع السحر التخيلي لأن جميع ما يأتي به أهل السحر التخيلي يمكن الإتيان به فيها وزيادة] "غربة الإسلام: 610".

ومما يلحق بذلك أيضا بعض أنواع الهندسة والصناعات العجائبية الحديثة التي تدهش الناظر إليها، فإن الهندسة من علوم الجن قال تعالى عن جن سليمان {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّخَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} وقد بنوا له الصرح الممرد من قوارير، وقد جاء أن سحرة فرعون كانوا يحشون حبالهم وعصيهم بالزئبق ومواد أخرى لتتلولى وترهب الناظر وأنظر في ذلك إن شئت [المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار] لعبدالرحيم بن عمر الدمشقي الجوبري، فهذه العلوم كلها مما تمد به الشياطين أولياءهم من السحرة ليستعينوا به على إحكام أسرارهم وهي علوم دخيلة على السحر ليست من أصله ولذا لم تأخذ حكمه وإن صدق عليها إسمه إذ السحر لغة ما خلفي ولطف مأخذه، وهذا الإسم يصدق على (العلوم الحدسية) كلها كما سيأتي تفصيله كما يصدق على بعض (العلوم الحسية) كما سبق لأن في أسبابها نوع خفاء ودقة ولطف بحيث لا يبصرها كل أحد.

## 24- [باب بيان شيء من السحر]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب خمسة أحاديث:

- 1 - التطير.
- 2 - التنجيم
- 3 - السحر الشيطاني.
- 4 - البيان المذموم .
- 5 - البيان الممدوح.

### نكتة (1) // العلوم الحدسية :-

إعلم رحمك الله أن من شؤم البدعة إفسادها للعلوم قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}، ومن أجل العلوم التي دخلها فساد أهل البدع (علوم التوسم) التي أخل عليها أهل البدع الشرك والخرافة ومزجوا صحيحها بباطلهم حتى غلب ذلك على كثير منها فأفسدها بالكلية قال تعالى {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ} وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} وفي مقدمة صحيح مسلم عن أبي إسحاق قال [لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي رضي الله عنه قال رجل من أصحاب علي قال قاتلهم الله أي علم أفسدوا].

وعلوم التوسم أجناس كثيرة منها ما هو صحيح الأصل ثم لحق به الفساد ومنها ما هو بازل بالكلية، ومرادنا بعلوم التوسم (العلوم التي تعنى برصد الإشارات الدقيقة للاستدلال بها على خفايا الأمور)، وذلك أن العالم له نظامها المادي الذي يدرك بالحس -البصر- ونظامه السنني الذي يدرك بالحدس -البصيرة- قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ} وفي حديث جبريل المشهور [قال: متى الساعة؟]، قال عليه الصلاة والسلام (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: فأخبرني عن أماراتها؟] فدل على أن من سنة الله في خلقه أن كل حدث يقع في الوجود تُجعل له أمارات تسبقه تدل عليه يدركها أهل البصائر، وقد ذم الله أقواما بإنحصار علومهم فيما يبصرون دون ما تدركه البصائر فقال {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

وعلوم التوسم جميعها لها شقين (ذوقي) و (صناعي) :-

- 1- الصناعي: الذي يعنى بالحدث نفسه وأماراته، فمن ذلك أنهم يشترطون في "الحدث" أن يكون غير إعتيادي وفي "علاماته" أن تكون أول ما بيده وأن تكون مشهدا ملفتا، والشق الصناعي من علوم التوسم راجع إلى [قاعدة الأسباب] وإن كانت أسبابه سننية لا مادية -تأثيرها في الحدث مباشر- فما كان منها قوي الدلالة فالإستدلال به مشروع وما كان منها ضعيف الدلالة فالإستدلال به ممنوع.

2- الذوقي: وهو طبائع نفس الإنسان التي تهيؤه لإستقبال هذه الإشارات والعبور من خلالها إلى ما وراءها، فهي جبلة نفسية وطبيعة روحية متى صقلت بالتعلم وقويت بالرياضة. أحكمت العلوم الحدسية وكشف عنها الغطاء كما جاء في وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه [كأنه ينظر للغيب من غشاء رقيق]، وقوة المرء في بعض هذه العلوم دون بعض سببه موافقة هذا النوع من العلوم الحدسية لصفاته النفسية وطبائعه الروحية، والخصائص النفسية تورث كما تورث الصفات البدنية ولذا كان أبناء السحرة أقدر على السحر من غيرهم وكان العرافة مشتهرة قبائل الأزدي أكثر من غيرها والقيافة في بني مدلجة وإمرؤ القيس نزعه في الشعر عرق من خاله المهلهل.

**فائدة:** الإيمان يقوي الخصائص النفسية لأنه يزيد الإحساس الروحي عند الإنسان فيشعر بذلك بما لا يشعر به غيره وفي الحديث [لو بقيتم على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات] وقال عليه الصلاة والسلام [اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله] وفي الأثر [ما من عبد يخلص لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه] وعند ابن أبي الدنيا [من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه] "ذم الدنيا" فإن العبد متى فرغ قلبه من الإشتغال بالأمور الحسية قوي عنده الجانب الحدسي.

**أركان العلوم الحدسية:** لعلوم التوسم أركان أربعة :-

- 1 - حس مرهف وتهيؤ نفسي وإستيفاز للحدس: فليست هي علوم صناعية محضة بل هي أولاً طبائع نفسيه وملكات ولذا قالت العرب في وصف الشاعر [عروق الناس تحت جلودهم، وعرق الشاعر فوق جلده] وذلك لشدة تحسسه وقوة إنفعاله.
- 2 - ذكاء وإرتياض: وذلك بدوام الفكرة وطول التتبع والإستقراء وضم النظائر وربط القرائن وعدم الوقوف على الأشياء وقوفا ظاهرا لا يفتش في بواطنها والمروور عليها مروراً سريعاً لا وقوف عندها .
- 3 - لمة الملك أو لمة الشيطان: وفي الحديث [إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَةً فَأَمَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ فَيُعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَةُ الْمَلِكِ فَيُعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ] فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ [الآية] الترمذي؛ فمثال لمة الملك قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان [اهْجُ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ] البخاري، ومثال لمة الشيطان قوله تعالى {هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَا نُنَزِّلُ الشَّيَاطِينُ (221) نَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ (222) يُقْفُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فالشعر منه ما هو لمة ملك ومنه ما هو لمة شيطان وضابط ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (إيعاد بالشر وتكذيب بالحق) أو (إيعاد بالخير وتصديق بالحق).
- 4 - العلم الصناعي: وهو الجانب المادي للعلوم الحدسية بمعرفة مسائلها وضبط قواعدها وفك رموزها، وهذا كله لا ينفع صاحبه إلا بتوافر الأركان الثلاثة السابقة وإلا كان خبطه في هذه العلوم خبط عشواء يصيب مرة ويخطئ مرات ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه] أي من لم يكن لها هذا "الاستعداد النفسي" و"الذكاء والرياضة" و"لمة الملك" لم ينفعه علمه بالجانب الصناعي من هذه العلوم.

**فائدة:** من كمالات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إستوفى أركان العلم الحدسي الأربعة: فأما رقة الحس وقوة الحدس فقال فيها ابن عمر [ما قال عمر لشيء أظنه كذا إلا كان

كما قال]، وأما الذكاء والرياضة فقال فيها رسول الله [لم أر عبقريا يفري فريه]، وأما لمة الملك فقال فيها عليه الصلاة والسلام [إنه كان فيمن كان قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر]؛ ولذا كان رضي الله عنه إماما في هذه الجنس من العلوم وله فيه عجائب لا يخلو من ذكرها كتاب من كتب العلوم الحدسية، وأعظم ما يكشف منزلة عمر بن الخطاب في هذا الباب (موافقاته للوحي) كما قال رضي الله عنه [وافقت ربي في ثلاث] مسلم، وقد عد بعضهم لعمر بن الخطاب عشرين موافقة للوحي .

**أنواع العلوم الحدسية:** هذا الجنس من العلوم يدخل تحته أنواعا كثيرة منها ما هو حق محض كتعبير الرؤى والفراسة والشعر، ومنها ما هو مشتمل على الحق والباطل كالعرافة والتطير ونحوها وقانون الشرع في الأمور المختلطة أن يجعل الحكم للأعم الأغلب فما لب عليه الشر حرم وإن اشتمل على بعض الحق وما غلب عليه الخير شرع قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} ومن هنا حرمت الكهانة قال عليه الصلاة والسلام في مسترق السمع [فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّيْءُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِثَّةً كَذِبَةٍ] البخاري.

فمن العلوم الحدسية:-

- **أولا/ الفراسة:** وهي أم الباب وأصل العلوم الحدسية، وأصل الفراسة معرفة طبائع الخلقية عن طريق الصفات الخلقية، وهو من علوم العرب خاصة والناس فيه تبع لهم انظر في ذلك [فضل العرب والتنبيه على علومها] لابن قتيبة، وهو علم قائم على الإستقراء ولأهله أصول يستعينون بها فمن ذلك:  
ربط هيئات الناس بما يشبهها من هيئات الحيوان لأن التشابه في الشكل علامة على المشابهة في الطبع وفي كتاب الله {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ}.  
وقياس الطبائع على الأرض وصفاتها قال تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} فمن الناس من له طبائع جبلية فيها حدة وصلابة وقوة ومنهم من له صفات السهول من السعة والتبسط ونحوها وهكذا، وهذه الصفات تكون في الإنسان من أحد وجهين : طول السكنى في أرض هذه صفتها وتتابع الأجيال على ذلك حتى تنصبغ النفوس بطبائعها قال ابن تيمية [في الحديث الصحيح (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها) وكان كما أخبر فبلغ ملك أمته عليه الصلاة والسلام طرفي العمارة شرقا وغربا، وانتشرت دعوته في وسط الأرض لأنهم أكمل عقولا وأخلاقا بخلاف طرفي الجنوب والشمال فإن هؤلاء نقصت عقولهم وأخلاقهم وإنحرفت أمزجتهم، أما طرف الجنوب فإنه لقوة الحرارة احترقت أخلاطهم فإسودت ألوانهم وتجددت شعورهم، وأما أهل الطرف الشمالي فلقوة البرد لم تنضج أخلاطهم بل صارت فجة فأفرطوا في سبوطه الشعر والبياض البارد الذي لا يستحسن؛ ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم أعدل بني آدم وأكملهم] "الجواب الصحيح: 1/ 164" وإما أن يكون المرء خلق من تربة أرض هذه صفتها فجبل على طبائعها ففي الحديث [الله خلق

آدم من قبضة قبضتها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض : جاء منهم الأحمر ، والأبيض ، والأسود ، وبين ذلك ، والسهل ، والحر ، والخبث ، والطيب [أبو داود؛ ومن جمع بين الأمرين - الطينة والسكنى- بلغ في هذه الطبائع أشد مبلغ. **فائدة:** عد "مايكل بيهي" في كتابه [صندوق داروين الأسود] علم الفراسة من الحجج على الملحدين في إبطال نظرتهم المادية للكون إذ ليس له تفسير سوى علم الله السابق وحكمته وتمايم قدرته قال تعالى {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}، قلت: وكذلك سائر العلوم الحدسية مبطلّة لدعاوى الماديين فهي من حجج التوحيد.

- **ثانيا/ العبارة:** وهي العبور برموز الرؤيا إلى علم الغيب للكشف عن بعض أسرارهِ، وهو أشرف العلوم الحدسية ولذا كان جزءا من النبوة وهو أشهر العلوم الحدسية وأصحها وأبلغها حجة على المشركين لأنها تقيم لهم الحجة من أنفسهم على كمال علم الله وقدرته بما يعجزون عن دفعه قال تعالى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}.

ومن عجائب هذا العلم: أن الله يعطي كل إنسان من الرموز في رؤياه ما يليق بعقله! ولذا تجد الرموز في رؤى العجم أكثر سذاجة ووضوحا حتى تكاد تكون كفلق الصبح ظهورا وذلك لضعفهم عن الغوص في المعاني فإن من يقارن لغات العجم بلغة العرب يرى الفرق بين العقول في دقة النظر وعمق المعاني وقوة الإبانة، واللغات مرآة عقول الأمم وطبائعهم.

- **ثالثا/ العرافة:** وهي من جنس تعبير الرؤى غير أن رموزها تقع في اليقظة لا في المنام، فالعارف يرى المشهد أمامه أو يُقص عليه فيحل رموزه بحس وحدس كما يفعل العابر مع الرؤيا يراها أو تقص عليه، ويقع للعارف ما يقع للمعبر من الصواب والخطأ، وهذا العلم قائم على أصل صحيح وهو أنه ما من حدث غير معتاد يقع إلا ومن سنة الله أن يجعل له علامات تسبقه تدل عليه، وهذه العلامات تتفاوت قوة ظهورها بحسب عظم الحدث الذي تدل عليه وقرب وقوعه أو بعده، و (علامات الساعة) أصل في ذلك.

وأعرف العرب "بني لهب" من الأزدي وأخبارهم فيه مشهورة قال كثير عزة :

تيممت لَهَا أَبْتَغِي العلم عندهم

وقد رد علم العارفين إلى لهب

وقد سألهم عبدالمطلب عن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه حين ولد وقع على يديه فقبض الأرض ورفع رأسه إلى السماء فقالوا [سيملك الأرض بسبب من السماء]، والأزدي قبيلة تمتاز من بين قبائل العرب بأمرين جعلها من أقدر القبائل على العلوم الحدسية: رهافة الحس، وقوة الحدس؛ أما رهافة الحس فقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم [أتاكم أهل اليمن هم ألىن قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية] البخاري، وأما قوة الحدس فقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم [حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء] [معرفة الصحابة] لأبي نعيم؛ ومن هنا كان شعرهم من أجود الشعر وتصريفهم للكلام لا يقدر عليه أحد فإن الله ألان لهم الكلام كما ألان لداود الحديد وفتونهم في السعر لا يشركهم فيها أحد وهم يشركون غيرهم فيما عندهم.

والمشهد الذي يراه العارف أو يُقص عليه قد يكون لا زجر له كالحلم الذي لا تأويل له، ومن هنا يضبط أهل العرافة المشهد الذي يعبر بأمر منها :



- 1 - أن يكون أول ما يبده.
- 2 - أن يكون غير معتاد.
- 3 - أن تكون له رموز ظاهرة.
- 4 - وعندهم أن العراف إذا كان أول مشاهد رآه في يومه معتادا لم يكن في ذلك اليوم زجر.

وكل ذلك إنما تحصل عندهم بالإستقراء والقياس على علم تعبير الرؤى، وعلم العبارة من علوم الحدس التي وقع فيها خلط كبير ودخلها الدجاجة فأفسدوا كثيرا منها بالشرك والخرافة حتى صار لفظ العرافة إذا أطلق لم نصرف عند أكثر الناس إلا على السحرة والدجالين.

- **رابعة/ الكهانة :** وهي علم شيطاني محض تتشاكل فيه أرواح الكهان مع أرواح الشياطين فيترأون لهم ويحدثونهم بالأخبار يمزجون فيها الصدق بالكذب فيصدق الناس كذبهم ببعض صدقهم، والكهانة أشبه شيء بالسحر بل هي جزء منها فكل ساحر كان ولكن ليس كل كاهن ساحر، وهي تشبه العرافة من جهة الكشف عن بعض المغيبات ولذا يخلط الناس بين الكاهن والعراف، وبينهما فروق :

- 1- طريقة الإستدلال على الغيب: فالعراف إنما يستدل بالرموز القدريّة ، والكاهن إنما يتلقى الخبر عن الشياطين.
- 2- العرافة علم يُتعلّم أما الكهانة فهي طقوس شركية وولايات شيطانية.
- 3- أخبار العرافين يستدل بها على شدة ذكاء أهلها وصحة أذهانهم بخلاف أخبار الكهان فإنها لا تفيد ذلك إذ هي أخبار شيطانية.
- 4- العرافة علم صحيح فيه حكمة وأسباب ظاهرة أما الكهانة فليس فيها سبب ظاهر تبنى عليه، ولذا يكثر الكهان من الزمزمة والأسجاع والشعبدات ليلبسوا على الناس ويستترهبوهم إذ لا حجة لهم على ما يقولون.

**فائدة:** سميت "التراجم" بذلك لأن العرب كانت تعتمد في جاهليتها إلى الكهان فتدفع إليهم أسماء من شاءت ثم تطلب منه أن يكشف لها عن سيرت وأحواله وتتكهن ببعض أقداره رجما بالغيب فسميت هذه المعلومات (تراجم)، ثم صارت فنا مستقلا عند أهل العلم يعمدون فيه إلى الأعلام فيجمعون سيرهم وأحوالهم.

- **خامسة/ التطير:** وهو علم يراد به ترجيح إحدى كفتي الشك وتطبيب النفس فيما يقدم الإنسان عليه، وهي جنس من العرافة غير أنها ضعيفة الدلالة كثيرة الوهم فكانت بذلك مدخلا للشيطان على قلب العبد للتحزين والتخويف وتعليق القلب بغير الله فحرمها الشرع، وفرقها عن العرافة:

- 1- أن العرافة هي النظر في العلامات التي لها نوع ظهور وقوة دلالة، أما الطيرة فإنها تتبع للأوهام والعلامات الضعيفة.
- 2- أن العارف يشترط في المشهد أن يبدهه وأن لا يكون معتادا، أما المتطير فإنه يتكلف معاني المشهد في نفسه أو يستثيره خارجها بأن يزج الطير أو يذعر الطيبي ونحوه فإذا تيامنت يستبشرون وإذا تياسرت تشاءموا ولذا كان علما متكلفا ضعيف الدلالة أشبه بحديث النفس في الأحلام.
- 3- أن العرافة كالرؤيا إنما هي خبر لا تفيد حكما ولا علما، أما الطيرة فهي ما أمضاك أو ردك.

وأصل الطيرة كان إعتبار سلوك الطير لإستشعار عواقب الأمور، وذلك أن العرب وجدت أن الطيور والظباء هي أرهف الحيوانات حسا، حتى كانوا يسمون الحمام [إنس الطير] لشدة ذكائها وقوة حدسها حتى أنك تراها تستشعر المطر ويجفلها الخطر قبل سائر البهائم، فأرادت العرب أن توظف هذا السلوك في محاولة إستجلاء الغيوب وإستشفاف عواقب الأمور فكانت إذا همت بأمر إستثارت الطير لتراقب سلوكها، إلا أن هذا النوع من التفرس ضعيف الدلالة كثير الأوهام موهن للعزائم فمتعه الشرع جريا على [قاعدة الأسباب] فالشرع يمنع التعلق بالأسباب الضعيفة لأنها مفسدة للتوكل معطلة للمصالح وهي مدخل لتخويف الشيطان وتحزينه، والبديل الشرعي لذلك هو التوكل والأخذ بالأسباب الصحيحة شرعا وقدرًا والإستخارة والإستشارة.

ولا يعني ذلك أن التطير كله باطل لا صواب فيه بل قد يصيب صاحبه أحيانا كما يصدق الكاهن مرة ويكذب ألفا، ولما كان علم ضعيف الدلالة قرنه النبي صلى الله عليه بالكي في حديث السبعين ألف، ومن أمثلة صدق تطير المشركين أحيانا ما وقع لشريف الحجاز حين بعث سرية إلى عسكر التوحيد (إخوان من طاع الله) فلما نزلوا أبطح مكة لقوا في طريقهم مجنونا فقالوا : يا فلان أيش فالنا؟ فقام يحجل على رجل واحدة ويقول:

هذا طريح وهذا يُجر

وهذا يُدلى في الحفر

فرجع منهم ثلاثون وأقدم تسعون رجلا قتلوا جميعا على يد أهل التوحيد.

**فائدة:** تقول العرب [خذ الحكمة من أفواه المجانين] فإنهم لضعف إتصالهم بالأمور الحسية يقوى عندهم الجانب الحدسي فربما إنكشفت لهم بعض المعارف الحدسية أحيانا ونطقوا بالحكمة وهم لا يشعرون، والعجم يتكفون ذلك من المجانين كما يتكلف أهل التطير دعر الطير ولذلك قلما يصيبونه منهم فإن شرط هذا العلم أن تبدهك علاماته بنفسها كالرؤيا يرسلها الله للرأي فإن تكلف ذلك كان ما يراه حديث نفس وأضغاث أحلام.

ومن ذلك أيضا ما وقع لعسكر الشريف في معركة الحلو حين نام بعضهم فوجدوا حرا في أقدامهم فقالوا والله إنها الهزيمة والفرار فكان كما قالوا، والعامّة تزعم أن من بدهه حر في كفه انه يقبض مالا أو يناله خيرا يومه ذاك، ومن حبى من غير قصد يرزق بضيف يومه ذاك، وما قالوه إلى "القال أقرب وسيأتي.

**لطيفة:** أورد أبو حيان في [أخبار الوزيرين] قصيدة أبو عبدالله الحسين بن علي النميري يصف فيها حاله عند السفر ووداعه بناته :

لما نهضت إلى الرجا \*\* وحتّت البيض الكواعب

وتناثرت عبراتها \*\* بن علي كالدرر الثقائب

ندى يديّ وحُلتي \*\* دمع الأحبة والحبائب

فجعلته فألا وقلت \*\* ندى الدموع ندى المواهب

ولئن تلافنتي يد الأ \*\* ستاذ من أيدي النوائب

وأقمت في الظل الظلي \*\* ولم تشعبني الشوائب

ليبشرن أحبتي \*\* بمواهب شتى المواهب

ويحلين لآلنا \*\* أضعاف أدمعها السواكب

**تنبيه:** من صور التطير سوانح الصوفية وأحوالهم التي تردهم عن الطاعات ويقطع بها الشيطان طريقهم إلى الخيرات ويهون القلوب ويحل العزمان والله عز وجل يقول {فإذا عزمتم فتوكل على الله}.

- **سادسا/ الفأل :** وهو من العلوم الصحيحة وهو سبب صحيح مؤثر في الكون كالأذكار وصلة الأرحام وغيرها من الأسباب المعنوية المؤثرة، والفأل من جنس التطير إلا أن الشرع خصه منه لأمر :

1 - سلامته من التخويف والتحزين الذين هما عمل الشيطان {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه} وقال تعالى {إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وما هو بضارهم من شيء}.

2 - أن فيه حسن ظن بالله وإستبشارا بخيره ورحمته، خلافا للتطير الذي هو سوء الظن به وتعليق القلب بغيره.

3 - أنه لا يمضي ولا يرد وإنما هو سبب تتقوى به نفس المؤمن ويحكم به أمره. فالفأل يراد منه أمران: تقوية العزم، وإحكام الأمر؛ أما "تقوية العزم" فباعتبار أوائل الأمور لإستجلاء عواقبها وتعجيل البشري بخيرها وفي الحديث [لَمَّا جَاءَ سَهْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ] البخاري، وأما "إحكام الأمر" فإن الأسباب المؤثرة في الأشياء تكون حسية وتكون معنوية فكلما كان الإنسان أجمع لذلك كان أقدر على بلوغ مطلوبه وإنجاح حاجته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يبعث رجلا لحاجة نظر في إسمه فإن كان "فلاح" أو "رشاد" أو نحوها من الأسماء الحسنة أرسله وإلا قال له إجلس وبعث غيره والعامة تقول (للإنسان من إسمه نصيب).

وأصل الفأل: الكلمة الطيبة يسمعها الإنسان فيستبشر بها ويظن بربه خيرا، والعامة تقول (الملاطف سعد) أي الكلمة الطيبة سبب لحصول الخير والكلمة الخبيثة سبب لحصول الشر قال تعالى {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، قال بعضهم :

إحذر لسانك أن تصاب بفتنة

إن البلاء موكل بالمنطق

**لطيفة :** كان الإمام يموت بن المزروع لا يعود مريضا كراهة أن يتطير بإسمه. **فائدة :** من أحكام الفأل الفقهية قول الشافعية [ويُسْنَى أَنْ تُطْبَخَ -العقيقة- بـحلو؛ تَفَاوُلًا بحلاوة أخلاق المولود، وفي الحديث الصحيح: «أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل»]، وفي حاشية الجمل: [ولا يقال بمثله في وليمة العرس تَفَاوُلًا بأخلاق العروس؛ لأنها طُبِعَتْ واستقر طبعها وهو لا يُغَيَّرُ].

- **سابعا/ القيافة:** وهي التوسم في الأثر وتتبع الماء، وهي أجناس ثلاثة : (القيافة) و (الريافة) و (الريافة)؛ فالقيافة للناس، والريافة للماء، والعيافة للأثر. **لطيفة:** قال ابن حزم [حكى عن بعض القافة أنه أتى بـابن اسود لأبيضين، فنظر إلى أعلامه فرآه لهما من غير شك، فرغب أن يُوقف على الموضع الذي إجتمعا عليه، فأدخل إلى البيت الذي فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة أسود في الحائط، فقال لأبيه: من قبل هذه الصورة أتيت في إبنك] وفي الخبر جمع بين "القيافة" و "الفأل".

والقيافة بأنواعها الثلاثة ليست من جنس العبارة و العرافة لأنه ليس فيها حل رموز وإنما هي دقة نظر وقوة تتبع لآثار الأشياء، وأكثر ما يظهر هذا العلم في سكان الصحراء لصفاء النفس وقلة الملهيات مع شدة الحاجة لهذا العلم للبحث عن الماء وشارد

الدواب، ويعينهم على صقل ملكاتهم في هذا العلم قوة ظهور أثر الأشياء في بيئة الصحراء مما يعود النفس على تتبعه وإستجلاء ما وراءه.

- **ثامنا/ التنجيم :** وهو الإستدلال بحركة الأفلاك على الأحداث الأرضية، وهو من علوم العجم خاصة وإنما أدخله الشيطان عليهم لغلوهم في (علم الفلك) وتكلفهم فيه، بينما كان علم الفلك في العرب علما أميا يوافق طبائعهم وعقولهم الفطرية قد إطرحوا منه ما كان شديد التكلف ضعيف الدلالة ولذا لم يكون "التنجيم" فيهم ظاهرا، وعلم النجوم أضراب ثلاثة :-

1 - علم حسي: وهو الذي يسمى [علم الفلك] وهو علم صحيح ظاهر السببية يدرس أهله مواضع الأفلاك وحركتها قال تعالى {فلا أقسم بمواقع النجوم} ويفيد ذلك معرفة الفصول والإتجاهات وحركة الماء في الأرض ونحو ذلك، وطريقة العرب فيه أعدل الطرق وذلك أنهم يعتمدون المشاهدة أصلا والحساب فرعا، أما العجم فيعتمدون الرصد أصلا والمشاهدة فرعا، ومن هنا كانت طريقة العرب أوثق وعلمهم بالنجوم أصح في حين كثر الغلط والوهم في العجم.

2 - علم سنني: وهو من جنس العلوم الحدسية وهو بالقيافة أشبه، وذلك أن أهله يرصدون تغير طبائع الأشياء في مطالع الكواكب فيعرفون أحوال كل زمان وما يليق به ، فمن ذلك قولهم [إذا طلع النجم -الجوزاء-، إنتقي اللحم وخيف السقم] فهو وقت يحتاط فيه المرء لمأكله ومشربه لضعف البدن فيه قال طبيب العرب [إضمنوا لي ما بين طلوع الجوزاء إلى سقوطها أضمن لكم سائر السنة]، [ولزيادة القمر حتى يصير بدرا أثر بين في زيادة الدماء والأدمغة وجميع الرطوبات] "كتاب الحيات"، قال زيد بن ثابت [إن الثريا إذا طلعت إرتفعت العاهات] أي أنه وقت صحة للزروع والأبدان قال الخلاوي :

حساب الفلك بـ"الثريا" مركب

يحرص له الفلاح والطبيبي

وذلك أن الثريا تختفي أربعين يوما ثم تطلع فيكون ذلك وقت سقم وقد ذكر أن يهود خيبر كانوا لا تصيبهم حمى المدينة فسلوا عن ذلك فقالوا [نترك الدواء إذى إختفى النجم، ونأكل الثوم، ونسكن اليفاع] .

3 - علم شيطاني: وهو الذي مزجت فيه الشياطين السحر بالخرافة وهو الذي يسمى [علم التنجيم] ، وهو علم يدعى فيه علم الغيب أو التأثير في الأشياء سعدا ونحسا أو تحبيبا وتبغيضا فباطله خرافة شرك وصحيحه سحر وكفر .

- **تاسعا/ البيان:** قال عليه الصلاة والسلام [إن من البيان لسحرا] لما فيه من خفاء الصنعة وقوة التأثير في السامع والتخييل عليه بتقليب الأمور، ومن ذلك كانت كتب البدع في حكم الشرع كتب سحرية كما نبه على ذلك الإمام محمد في فوائده على قصة هاروت وماروت لأنها تعتمد إلى المتشابهات لتقلب بها الحق باطلا والباطل حقا كما يقلب الساحر العصا حية.

وأشد البيان سحرا هو "الشعر" من وجوه كثيرة:

1- كونه أشد تخييلا ولذا قالوا [أعذبه أكذبه].

2- إستخراجه لخبايا النفوس وإبانتة عنها فشابه الكهانة بذلك.

3- قوة تأثيره في نفس سامعه حتى يحمله على أحوال أشبه بالجنون من فرط

شجاعة وفرط كرم وفرط وجد ونحوها.

- 4- كونه ألصق بالعلوم الروحية من العلوم الصناعية ولذا لا يفلح فيه إلا من كانت له قريحة شعرية بالخلقة.
- 5- الأحوال الروحية التي تعرض لأهلها والتي هي أشبه بأحوال الكهانة كما فصله الأستاذ عبدالله الطيب في كتابه [المرشد في فهم أشعار العرب].
- 6- نشأة هذا العلم: فإنه كان في أول أمره من قبيل الكهانة وكانت بدايات نشأته سجع الكهان ثم تطور واستقل فنا لغويا، وإسمه مشعر بذلك قال ابن رشيق [إنما سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره] فاشتقت العرب إسم الشاعر من هكا المعنى كما إشتقت للعراف إسما من المعرفة بما لا يعرفه غيره.
- 7- أن الجن أو الملائكة تمد بعض أهله وتعينهم: وذلك بأن يكون للشاعر رأي من الجن أو أن تدركه لمة ملك أو شيطان قال تعالى {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُنْفِثُونَ السَّمْعَ وَكَذِبُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (223) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} ففوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) وإن كانت جملة جديدة إلا أنها سيقى لمناسبة الشبه بين الشعراء والكهان : في الحالة الروحية التي تسبق الكشف البياني للشاعر أو الكشف الغيبي للكهان -رؤية الجن وتخيلاتهم-، وفي تنزل الشياطين أو الملائكة وإمامهم بهم، وفي كون نشأتهم واحدة فالشعر وسجع الكهان ولدا من رحم واحدة.

- **عاشرا/ العلوم الصناعية:** سواء [العلوم السمعية] أو [العلوم التجريبية] فإن هذه العلوم ليست منبته عن [العلوم الروحية] بالكلية بل إنها يدخلها "الحس" تبعا بقدرها وإن كان الأصل فيها "السمع" أو "الحس"، وها هنا أصل عظيم في مناهج العلوم وطرائقها: وهو أن الله حين ذكر أجناس العلوم أشار إلى تنوع مناهجها بإضافة كل جنس منها إلى أدواته التي يتلقى بها (السمع، والأبصار، والأفئدة)، إلا أن تنوع المناهج بين العلوم وإختصاص كل جنس منها بمنهج في التلقي والنظر لا يعني عدم إتصاله بالمناهج الأخرى وعدم دخولها فيه بالكلية بل المناهج تتداخل بقدرها وإن كان لكل علم منهجه الأصلي المقدم فيه على غيره، فالعلوم "السمعية" يدخلها شيء من "الحس" و "الحس" ولذا إحتج السلف في إثبات الصفات بالذوق وإتجاه القلب إلى السماء ونحو ذلك مع كونه علم سمعي وذكر ابن تيمية عن نفسه أنه كان يناظر الزمخشري في منامه فإذا أفاق دون ما حصل له من علم في تلك المناظرات، ومن هذا الباب [قال الكشميري: إذا وجدت النووي مثلا يتكلم في حديث والترمذي يحسنه فعليك لما ذهب إليه الترمذي، فإن -النووي- مبناه على القواعد لا غير وحكم الترمذي يبنى على الذوق والوجدان الصحيح، وإن هذا هو العلم وإنما القواعد عصى الأعمى!] "فيض الباري: 216/6"؛ والقصد أن كل نوع من أنواع العلوم الثلاثة له منهجه -سمعي أو ذوقي أو تجريبي- وتدخله المناهج الأخرى تبعا لا أصلا، فلا تضرب العلوم بعضها ببعض ولا يبيت بعضها عن بعض والناس في ذلك بين طرفين ووسط.

**لطيفة:** من أمثلة دخول العلوم الحدسية في العلوم الحسية ما رواه الذهبي في "تاريخ الإسلام" [قال الحسين بن فهم: قدم إلينا محمد بن سلام -صاحب طبقات فحول الشعراء- بغداد سنة إثنين وثلاثين، فأعتل على شديدة فأهدى إليه الرؤساء أطباءهم وكان منهم ابن ماسويه، فلما رآه قال: ما أرى من العلة كما أرى من الجزع؟، فقال: والله ما ذاك حرص على الدنيا مع إثنين وثمانين سنة ولكت الإنسان في غفلة حتى يوقض بعلمه،

فقال: لا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة والغريزية وقوتها ما إن سلمت من العوارض بلغت عشر سنين أخرى؛ قال ابن فهم: فوافق كلامه قدرا فعاش كذلك ومات سنة إثنين وثلاثين ومئتين]، وفي "ذم الهوى" لابن الجوزي عن أبي مسلمة المنقري [كان عندنا بالبصرة نخلة -وذكر من حسننها وطيبها- ففسدت حتى شيصت، فدعا صاحبها شيخا قديما يعرف النخل فنظر إليها وإلى ما حولها من النخل فقال: هذه عاشقة لهذا لهذا الفحل الذي بالقرب منها! ، فلقحت منه فعادت إلى أحسن ما كانت].

(الروحانيات: العلوم الحدسية المحرمة)

## 25- [باب ما جاء في الكهان ونحوهم]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب اربعة احاديث وأثر عن ابن عباس ونقول :

- 1 - الأحاديث الثلاثة الأولى: متى يكون الذهاب للسحر والكهان والعرافين شرك أكبر؟
- 2 - الحديث الرابع: متى يكون الذهاب إليهن شرك أصغر؟
- 3 - الأثر والنقول: الفرق بين الكهانة الشيطانية والعرافة الخرافية.

(الروحانيات: حل السحر)

## 26- [باب ما جاء في النشرة]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب حديث وثلاثة آثار ونقل عن ابن القيم :

- 1 - الحديث وأثر ابن مسعود: حل السحر بالسحر.
- 2 - أثر سعيد بن المسيب: حل السحر بالرقية والتداوي.
- 3 - أثر الحسن: فضح السحرة الذين يحلون السحر بغير الرقية.
- 4 - كلام ابن القيم: التفصيل الذي يحل الإشكال.

(الروحانيات: التعلق بالأسباب الصحيحة أو الباطلة)

## 27- [باب ما جاء التطير]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب أربعة آيتين وأربعة أحاديث وأثرين:

- 1 - الآية الأولى: أن الله هو المسبب الذي بيده كل شيء.
- 2 - الآية الثانية: أن كل ما يتعلق به الناس من دون الله هي مجرد أسباب منها الصحيح والباطل.
- 3 - الحديث الأول: النهي عن التعلق بالأسباب كلها.
- 4 - الحديث الثاني: أن من الأسباب ما هو صحيح السببية.
- 5 - الحديث الثالث: النهي عن التعلق بهذه الأسباب الصحيحة مع الأخذ بها.
- 6 - الحديث الرابع: أن الأخذ بالأسباب الباطلة شرك أصغر.
- 7 - الأثر الأول: كفارة الطيرة (تجديد التوحيد).
- 8 - الأثر الثاني: ضابط الوقوع في الطيرة.

**لطيفة:** روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب ممن الداء والدواء؟ فقال تعالى [مني]، قال: فما يصنع الأطباء؟ قال [يأكلون أرزاقهم، ويطيّبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي].

(الروحانيات: أحوال الناس مع النجوم)

## 28- [باب ما جاء في التنجيم]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة أحوال للناس مع علم النجوم :

- 1 - أهل التوحيد والسنة: الذين علمهم بالأفلاك خالٍ من "التكلف" و "الخرافة".

- 2 - أهل البدع: المتعمقون المتكلفون فيها مالا ينفعهم.  
3 - أهل الشرك: المتعلقون بالنجوم المصدقون بالخرافات فيها.

**تنبيه:** من صور التنجيم المعاصر مسألة (الأرض المسطحة) والغلو فيها، حتى جعلها أقوام ركن من أركان الإيمان وصار الدين عندهم هو الإيمان بها وإشتغلوا بالدعوة إليها حتى كأن الله إنما ارسل الرسل وأنزل الكتب من أجلها؛ وهذا "غلو" شركي في الأفلاك من جنس غلو الصابئة عبدة الكواكب، و "بدعة" متكلفة شغلهم بها الشيطان عن الدعوة إلى الله وتوحيده، و"سوء أدب" مع الله في التآلي عليه والقول في كتابه بالجهل والسفه والتطاول بالإنشغال بأفعاله في خلقه جل وعلا بدل إنشغال العبد بأفعاله هو التي كلفه الله بها وسيحاسبه عليها وقد قص الله عن فرعون حين أمر بالتوحيد أنه أجاب {فما بال القرون الأولى}؟ فإنشغل عن عما أمر به بالسؤال عن فعل الرب بخلقه .

ولا فرق إن خلق الله الأرض كره أو مسطحة أو غير ذلك فإن هذه مسألة فلكية محضة، إلا أن الغلو فيها وإتخاذها ديناً يوالى عليه ويعادى بدعة منكرة تلحق بالتنجيم لأنها غلو في الأفلاك، فصاحبها لا يسلم من الشرك وإن أصاب فيما ذهب إليه إذ (كذب المنجمون ولو صدقوا).

(الروحانيات: شرك النجوم)

## 29- [باب ما جاء في الإستسقاء بالأنواء]

### بنية الباب :-

ذكر المصنف في هذا الباب آية وثلاثة أحاديث :

- 1- الآية: كون نسبة الخير والسعد للنجوم من كفر النعمة.
- 2- الحديث الأول: إنه من أمر الجاهلية.
- 3- الحديث الثاني: عموم البلوى به.
- 4- الحديث الثالث: أن المرء قد يقع فيه بكلمة لا يشعر بها مع إعتقاده التوحيد وأن الله عو النافع الضار وحده كما وقع من بعض الصحابة (شرك ألفاظ).



